
مكتبة المحبة
العذراء العظيمة
دراسة
تشمل كل حياة أم النور
تقديم ومراجعة
الأب القمص / مينا ظريف
راعى كنيسة رئيس الملائكة سوريال
والشهيد العظيم مارمينا بالعمرانية الغربية - جيزة
والأرشيدياكون د / ميخائيل مكسى اسكندر
إعداد
/ مكرم مجلى برسوم

مكتبة المحبة

العذراء العظيمة

دراسة تشمل كل حياة أم النور

إعداد

الخادم /مكرم مجلى برسوم

تقديم ومراجعة

الأب القمص/ مينا ظريف

راعى كنيسة رئيس الملائكة سوريال
والشهيد العظيم مارمينا
بالعمرانية الغربية ـ جيزة

والأرشيدياكون د/ ميخائيل مكسى اسكندر

أسم الكتاب : العذّراء العظيمة

تأليف : مكرم مجلى برسوم

تقديم ومراجعة : الأب القمص مينا ظريق
وأرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر

الناشر : مكتبة المحبة ت : ٢٥٧٥٩٢٤٤ - فاكس : ٢٥٧٧٧٤٤٨
E-mail: Mahabba5@hotmail.com

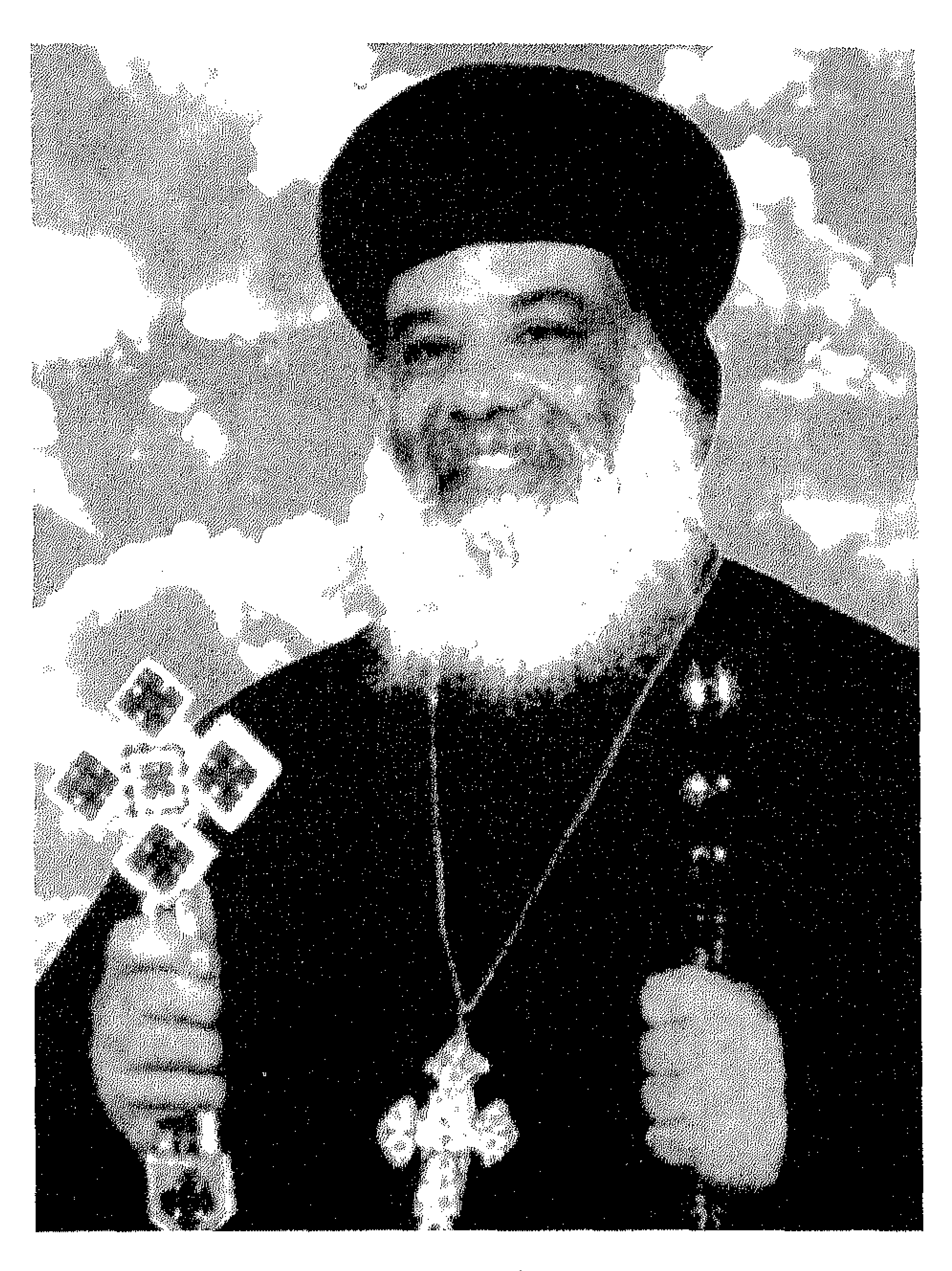
جمع وتصميم الغلاف : شركة فاين للطباعة وفصل الألوان
تليفون : ٢٤٨٢٤١١٣ - ٢٤٨٢٠٩٠٣ (٢٠٢)
E-mail: finestaff@fineprint86.com



صاحب الغبطة والقداسة

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)



نيافة الأنبا سلوانس

النائب البابوى لمصر القديمة

والمنيل وفم الخليج

تقديم للأب القمص مينا ظريف

«إنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣: ٧)

✣ ما أجملها سيرة من بدايتها إلى نهايتها ـ لذلك أحبها الجميع فى كل الأنحاء التى عرفتها.

✣ وايضاً ما أجمل ما كتبه عنها **الأخ المبارك مكرم مجلى** ـ إضافة لما كُتِب عنها. وستظل أكبر وأعمق وأرفع من أن يحدها كتاب ولا كاتب.

✣ إنها الأم العذراء القديسة «**مريم**» الإناء المختار الذى إحتوى الغير محوى ـ إنها أم ربى ـ السلام لك إذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح إبنك الحبيب لينعم لنا بغفران خطايانا.

✣ الرب يعوضك كل خير أيها **الخادم المبارك مكرم مجلى** ـ ويجعل هذا الكتاب نافعاً للجميع ـ بصلوات وشفاعات أمنا الطاهرة العذراء «**مريم**» وصلاة قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث ـ وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا المطران الأنبا دوماديوس والأنبا ثيؤدوسيوس أسقف عام الجيزة.

تقديم للأرشيدياكون
دكتور ميخائيل مكسى اسكندر

هذا الكُتَّيب يتحدث عن أعظم أم فى العالم كله، وقد شهّدت لها كل الأديان الشائعة فى العالم، وذكرت صفاتها الجميلة وأعمالها وخدماتها الجليلة، كمثال لكل الأجيال فى الفضائل، وفى الخدمة المضحية. ونقدمه لكل إنسان فى مصر وبلاد المهجر، للاقتداء بهذه السيرة الطاهرة، طالبين شفاعة البتول أم النور، وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، والرب يبارك الكاتب على تعب محبته فى تقديم هذه السطور للقارىء المبارك.

ارشيدياكون

د. ميخائيل مكسى اسكندر

الجيزة فى ٢ / ٤ /٢٠٠٨

شكر وتقدير

أولا أقدم الشكر لله لمعونته العظيمة لى على إعداد هذا الموضوع بشفاعة سيدتنا كلية الطهر والقداسة العذراء «مريم».

وأشكر نيافة الحبر الجليل الأنبا سلوانس.

وأشكر أبى الفاضل القمص مينا ظريف لتعب محبته وإرشادة وتوجيهاته لى ومراجعته لما قد كُتب ـ والله لا ينسى أبداً تعب المحبة. الرب يُديم كهنوتك يا أبى، وينفعنا ببركة صلواتك آمين.

كما أشكر استاذى الفاضل الأرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.

الخادم/ مكرم مجلى

٢٢ أغسطس ٢٠٠٩م

تذكار صعود جسد العذراء مريم

١٦ مسرى ١٧٢٥ش

آيات للتأمل

✞ (ولكن يعطيكم السيد نفسه آيه ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل)

(إش ٧: ١٤)

✞ رئيس الملائكة جبرائيل - بشر العذراء القديسة مريم قائلاً: (السلام لكِ يا ممتلئة نعمة، الرب معك مباركة أنتِ في النساء... ها أنتِ ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وإبن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية)

(لوقا ١: ٢٦ - ٣٢).

✞ (لذلك القدوس المولود منك يدعى إبن الله)

(لوقا ١: ٣٥).

✞ (وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد)

(١ تيمو ٣: ١٦).

✤ ✤ ✤

نبوات عن أم النور

مقدمة:

+ فى العهد القديم تنبأ اشعياء النبى عن العذراء الطاهرة القديسة «مريم» فقال (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو إسمه عمانوئيل) (إشعياء ٧: ١٤).

.. وجميع نبوات العهد القديم ورموزه لم تفسر إلا فى العهد الجديد ـ وعلى سبيل المثال:

(١) تنبأ اشعياء النبى قائلاً (هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر) (إش ١٩: ١) ـ وعندما قيلت هذه الآية فى العهد القديم لم يعرف أحد تفسيرها ـ ولكنها فُسرّت فى العهد الجديد، عندما جاءت العائلة المقدسة إلى مصر ـ فقد أشار اللاهوتيون ـ فى العهد الجديد ـ أن هذه السحابة السريعة هى العذراء الطاهرة القديسة مريم، التى حملت الطفل يسوع وهى فى طريقها لمصر.

(٢) جاء فى سفر إشعياء النبى (ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل) (إش ٧: ١٤) ـ هذه النبوة كانت معروفة فى العهد القديم وكانوا ينتظرون تحقيقها ـ ولكنها تحققت فى العهد الجديد ـ وعرفنا القديس متى البشير أن إسم عمانوئيل تفسيره الله معنا) (مت ١: ٢٣).

(٣) رأى موسى النبى فى البرية ـ عُليقّة (شُجيَّرة) تشتعل بالنار ولا تحترق، بل كانت أغصانها خضراء. ولم يُعرف فى العهد القديم تفسير لذلك. ولكن العهد الجديد أوضح أن العذراء مريم شُبهت بالعليقة التى رآها موسى النبى فى البرية ـ أى تشير إلى العذراء البتول الطاهرة التى حملت فى بطنها جمر اللاهوت «النار الآكلة» (تث ٤: ٢٤) ـ ولم تحترق بطن العذراء ـ كقول المرنم:

العـليـقـة التـى رآهـــا موســى النبى فى البرية

والنيران تشـعل جـواها ولـم تمـسسها بأذيــة

مثال أم النور طـوباهـا حملت جمر اللاهوتية

تسعة أشهر فى أحشاهـا وهى عذراء ببكـورية

.. وقد تنبأ عنها موسى النبى قائلاً (أن نسل المرأة يسحق رأس الحية) (تك ٣) ـ ونلاحظ أنه لم يقل نسل الرجل ـ أى أن نسلاً بدون رجل ـ وما نسل هذه المرأة إلا الإله المتجسد فى بطن العذراء البتول الطاهرة القديسة «مريم» ـ والحية هى الشيطان المخادع.

.. حقاً إن كل فم يتقدَّس وكل لسان يتبارك ـ عندما ينطق بكرامة أم الرب العذراء الطاهرة القديسة «مريم» ـ تلك التى صارت أعلى من السمائيين وأعظم قدراً من جميع الأرضيين ـ ورائحة سيرتها العطرة بسبب النعمة المعطاة لها ـ لذا قالت لها

أليصابات (مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنكِ. فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ؟) (لوقا ١ : ٤٢ و ٤٣).

.. وسر عظمة الطاهرة القديسة مريم هو أن الله أهلّها ليتجسَّد منها بسبب تواضعها وتقواها وخضوعها ـ كقولها لرئيس الملائكة جبرائيل (هوذا أنا أمة الرب) (لوقا ١ : ٣٨).

.. إلى تلك الفتاة المتواضعة، نذيرة الرب من بطن أمها.

.. إلى عذراء الهيكل ـ السماء الثانية ـ التى حل فيها الكلمة الأزلى ـ فولدت للبشرية الأسد الخارج من سبط يهوذا.

.. إلى حواء الثانية ـ الإبنة التي عتقت أمها فصارت بذلك أم كل الأحياء.

.. إلى العذراء قديسة الأجيال التى علّمتنا جميع الفضائل من حب وحق ورحمة وحكمة وصمت وتأمل وإتضاع...الخ.

.. إلى العذراء الممتلئة نعمة التى عظّمت ومجدت الرب ـ فطوبتها جميع الأجيال، وتطوبها جميع الشعوب، إلى نهاية الدهور.

.. إلى المركبة الشاروبيمية التى أعطيت بالنعمة أن تصير أنقى من الملائكة.

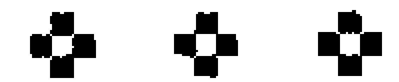
.. إلى الحمامة الحسنة التى أكّرمها الرب، بإصعاد جسدها الطاهر إلى الفردوس.

.. إلى أم الرب ـ والدة الإله ـ الشفيعة لجنس البشرية.

.. إلى العذراء القديسة «مريم» التى حفظت جميع ما قيل لها من قِبل الرب، متفكرةً به فى قلبها.

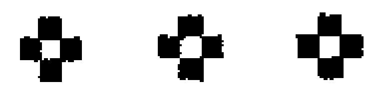
«نهدى هذا الكتاب»

إلى كل نفس تحب العذراء الطاهرة القديسة «مريم» ـ وتريد أن تحيا حياتها فتنمو فى معرفة ربنا وإلهنا ومخلصنا الصالح الرب يسوع المسيح له المجد الدائم من الآن وإلى الأبد أمين.



أولا: ولادة العذراء:

تنويه: كان فى العهد القديم إنسانة إسمها مريم وهى إبنه عمرام ـ وأخت هارون وموسى النبى ـ وكانت أكبر من موسى النبى بحوالى عشر سنوات. (خروج ٦: ٢٠). والداعى لذكر هذه المعلومة هو أن بعضاً من المسيحيين قد يظنون ظناً خاطئاً، أن مريم إبنة عمرام، هى التى ولدت المسيح الرب.



.. ويذكر سنكسار ١٦ أمشير أنه فى أورشليم كان رجل إسمه «متثات» له ثلاث بنات:

الكبيرة إسمها مريم وهى أم سالومة (قابلة العذراء مريم). والوسطى إسمها صوفيا وهى أم القديسة أليصابات زوجة زكريا الكاهن.

والصغرى إسمها حَنة وهى أم العذراء مريم.

* إذن سالومى وإليصابات هما بنات خالات العذراء مريم.

وقد تزوجت حَنة من رجل بار صدِّيق إسمه يواقيم ـ ومكث الزوجان بلا نسل إحدى وثلاثين سنة[١].

وكان يواقيم وحَنة بارَّين أمام الله ـ مداومين على الصوم والصلاة والصدقات للفقراء، ومساندة الضعفاء والمحتاجين.

(١) العذراء فى اللاهوت الطقسى ـ القمص يوسف أسعد ـ ص٤.

ولكن كانت حِنة عاقراً ـ فطلبت هى وزوجها من الله بدموع أن يوهب لهما نسلاً ـ ونذرا المولود لخدمة بيت الرب ـ فرزقهما الله بطفلة جميلة أسمياها «مريم» وهى العذراء الطاهرة أم القدوس.

إذن هى بنت الصلاة التى قيل عنها فى التاريخ الكنسى أن السماء إستجابت لصلوات أبويها وبشرهما ملاك الرب بأنه إسُتعلِن ـ فى ملء الزمان ـ بميلاد مريم العذراء.

وكان أبواها (يوياقيم وحَنة) غنيين، من نسل داود الملك. وهو من سبط يهوذا ـ وما دام يوسف النجار من بيت داود ـ فوجب أن تكون مريم وأبويها من البيت نفسه ـ لمجرد معرفتنا أنها مخطوبة له، بدليل ما ورد فى سفر العدد من قوله (كل بنت ترث ميراثاً من أسباط بنى إسرائيل فلتكن زوجة لواحد من عشيرة سبط آبائها) (عدد ٣٦: ٨) ـ وما ورد فى إنجيل القديس لوقا، حيث قيل (صعد يوسف من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم، لأنه كان من بيت داود من عشيرته. ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة) (لو ٢: ٤ و ٥).[١]

.. وقد أشار الإنجيل المقدس إلى أن نسب يوسف البار من داود الملك ـ جده الأعلى ـ وهذه الإشارة الجليلة تثبت أيضاً أن مريم العذراء من سبط يهوذا ـ وإليه ينتسب داود ـ لأن الشريعة الإلهية فى القديم حصرت الزواج فى السبط الواحد، بمعنى أن الزوج والزوجة لا يُعقد زواجهما إلا إذا كانا من سبط واحد.[٢]

(١) مريم الملكه ـ القمص بولس شنوده ـ راعى الكنيسة القبطية بطهطا ـ ص ٢٥، ٢٦.

(٢) تفسير الإنجيل بحسب لوقا البشير ـ القمص تادرس يعقوب ملطى ـ طبعة ١٩٨٥ ـ ص٦٢.

.. وتذكر الميامر القديمة أن سالومى (إبنة خالة العذراء مريم) ـ كانت مع العذراء مريم والقديس يوسف البار النجار والسيد المسيح ـ خلال رحلة هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر.

.. وكانت العذراء مريم ـ طوال حياتها على الأرض ـ تُداوم على الأعمال الصالحة. وتوزع كل ما تملكه يديها من طعام على الفقراء فى السر ليلاً، حسبَ تقليد قديم.

ومن سيرة العذراء الطاهرة نعرف أنها كانت تصلى دائماً وكان حديثها هادئاً وصوتها منخفضاً ـ وقد التزمت الصمت فى إتضاع ـ فى كثير من أوقات حياتها ـ وداومت على قراءة العهـــــد القديم، فامتلات نعمة وحكمة، من كلمة الله.

ولما بلغ عمرها ثلاث سنوات ـ أدخلها والداها للهيكل ـ فلم تبكِ كالأطفال.

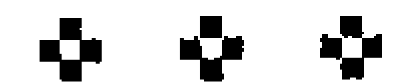
.. ورزق الرب والديها بطفلة أخرى أسمياها «مريم» أيضاً.

وهى زوجة كلوبا (حلفى) وهى ذاتها أم يعقوب الصغير ويوسى وسمعان ويهوذا (يو ١٩ : ٢٥) وعدة بنات، دعاهم الوحى إخوة يسوع.

وقد تنيحّ والد العذراء مريم عندما كان عمرها ٦ سنوات.

وتنيحت والدتها عندما كان عمرها ٨ سنوات.

ولكن لثباتها فى الرب، لم تهتز. بل أكملت مسيرة التكريس المباركة، إلى أن شاء الله خروجها من الهيكل.



ثانياً: خطوبة العذراء مريم:

يقول المؤرخ يوسابيوس القيصرى أن القديس يوسف النجار والعذراء مريم كانا من سبط يهوذا (من نسل الملك داود).

وقد تمت خطيبة العذراء مريم على النحو التالى:

عندما كان عُمر العذراء مريم ١٢ سنة (بلغت السن القانونية لعدم بقائها فى الهيكل بسبب البلوغ الأنثوى) ـ إجتمع الكهنة ليناقشوا أمرها، إذ كان يلزم أن تترك الهيكل.

+ لذلك دعاها زكريا الكاهن مع خُدَّام مذبح الرب، فى بيت العذارى ـ وقال لها «يا مريم إنكِ قد بلغتِ سن الزواج ـ فإن أردّتِ الإقتران نختار لكِ إنساناً تقياً وندفعك إليه ـ أو أن تظلى مخطوبة». فأجابته سيدة العذارى «ها أنا أمامكم، ولتكن مشيئة الرب»[١]

فتحيَّر الكهنة. فظهر ملاك الرب لزكريا الكاهن وقال له: إخرج واجمع من الشيوخ والشباب المشهود لهم بالتقوى من بنى إسرائيل فيختار الرب من بينهم من يصلح لعبدته «مريم» ـ الذى تظهر على عصاته حمامة يكون خطيباً لمريم.

فأحضروا إثنى عشر رجلاً من سبط يهوذا ـ ووضع زكريا الكاهن عصيهم داخل الهيكل ـ وفى اليوم التالى أحضر أبيثار الكاهن ـ العصى ـ وقدم لكل منهم عصاه ـ وما أن أمسك

---

(١) ميامر وعجائب العذراء مريم، طبعة ١٩٠٢، ص ٢٨.

القديس يوسف النجار بعصاه حتى جاءت حمامة بيضاء جميلة، واستقرت عليها ـ وأخذت ترفرف لوقتٍ طويل بين أجنحة الهيكل، واستقرّت على رأسه ثم طارت نحو السماء.(١)

فقال زكريا الكاهن للشيخ يوسف البار «الأمر ليس منى ولكنه من الله».

وعقد الكهنة خطبته على مريم ـ وباركهما زكريا الكاهن وودعهما ـ فأنطلقا إلى بيت القديس يوسف النجار ـ فى الناصرة بالجليل.

وحسب الشريعة القديمة تُسمَّى المخطوبة إمرأة ـ أى إمرأة خطيبها ـ فى حين أنها لم تكن قد عرفته (جسدياً). فقد كان الزواج حسب التقليد اليهودى ـ يتم على مرحلتين:

خطبة ـ ثم زواج. (كَتب الكتاب والدُخلة عند المسلمين).

فالمخطوبة تدعى «زوجة» وتصير أرملة إن ماتٍ خطيبها ـ وتتمتع بجميع الحقوق المالية كزوجة إن ترملت أو طُلقّت.

وفى حالة الخيانة لخطيبها، تسقط تحت ذات العقوبة كزوجة خائنة، وكزوجة لا يقدر أن يتخلى عنها خطيبها بغير كتاب طلاق.

---

(١) كتاب القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس باسبورتنج بالإسكندرية (١٩٧٨) ص ٢٠ وما بعدها.

ومـن هـنـا نسـتطيع أن نـدرك سـرـ دعـوة القديسـة مريم «إمرأة يوسف» رغم كونها مخطوبة له وليست متزوجة (مت ١: ٢٠).

... وبينما كانت العذراء مريم فى بيت القديس يوسف النجار ـ وكانت تشتغل فى عمل جزء من ستر حرير مُرّصع بذهب وقرمز وأرجوان لزوم الهيكل[1] ـ جاء إليها رئيس الملائكة جبرائيل (غبريال) وبشرها بالحبل الإلهى. وقال لها: (السلام لكِ يا ممتلئة نعمة الرب معكِ مباركة أنتِ فى النساء... ها أنتِ ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وإبن العلى يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لُملكِه نهاية) (لوقا ١: ٢٦ - ٣١). وأعلمها رئيس الملائكة أيضاً بأن قريبتها أليصابات هى أيضاً حُبلى فى الشهر السادس بأبن فى شيخوختها.

... ولم تقل العذراء مريم «أنا أم القدوس» ـ بل قالت فى إتضاع عجيب وطاعة كاملة «هوذا أنا أمة (عبدة) الرب».

وقول العذراء مريم ـ للملاك (كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً) (لو ١: ٣٤) ـ يعنى «لم أعرف رجلاً فى الماضى ولست أعرف رجلاً فى المستقبل أيضاً».

.. لو كان الرب يسوع قد وُلِدَ بالطريقة البشرية، كما يولد بقية البشر ـ لما كان فادياً ومخلصا ـ وإنما وُلِدَ من عذراء بتول بحلول

---

(١) ميامر وعجائب العذراء مريم. ط ١٩٠٢ ص ٣٠.

الروح القدس عليها ـ كما قال لها الملاك (الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلى تظللكِ. فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى إبن الله) (لوقا ١: ٣٥) ـ وقد تم الوعد (وجدت حبلى من الروح القدس) (مت ١: ١٨).

وعندما لعبت الهواجس بيوسف النجار ـ ظهر له ملاك الرب فى حُلم، يطمئنه ويكشف له قداسة وطُهر وبراءة العذراء مريم ـ وقال له (لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس) (لو ١: ٣٤).

ومفهوم هذا الجواب أن العذراء مريم تستبعد أمر الولادة، بطريقة عادية، لأنها لم تعرف للآن رجلاً. وسوف لا تعرف أحداً فى المستقبل، لأنها نذرت نفسها للرب.

واستأذنت العذراء مريم ـ من القديس يوسف النجار ـ لتذهب إلى أليصابات قريبتها لتخدمها ـ وتحملّت العذراء الطاهرة مشاق السفر عبر الجبال حتى وصلت إلى بيت زكريا الكاهن ـ وظلت تخدم زوجته أليصابات ـ ثم رجعت إلى الناصرة ـ لتخدم القديس يوسف النجار.

.. والعجيب أن هناك تطابقاً بين ما نطقت به أليصابات ـ وبين ما نطق به رئيس الملائكة جبرائيل ـ أثناء بشارته للعذراء مريم بالحبل الإلهى المقدس. ويوضح ذلك الجدول الآتى:

م	شهادة الملاك	شهادة أليصابات
١	مباركة أنتِ فى النساء.	مباركة أنتِ فى النساء.
٢	ها أنتِ ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع.	مباركة هى ثمرة بطنك.
٣	إبن العلى يُدعى = إبن الله.	فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى الىَّ؟.

وعندما سلمت العذراء مريم على أليصابات ـ تحقق ماقاله الملاك لزكريا الكاهن عن إبنه يوحنا (المعمدان) أنه من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس.

ومن العجيب أن نعرف أن القديس يوسف النجار ـ كان باراً ـ وقد شهد عنه الإنجيل المقدس لمعلمنا القديس متى البشير ـ شهادة حسنة لخصها فى كلمتين هما (فيوسف رجلها **إذ كان باراً**) (مت ١: ١٩).

وقد ظهر برَّه فى أنه لما عرف بحبل السيدة العذراء ـ دخلت الشكوك فى قلبه وأراد تخليتها بهدوء، بدافع الرحمة.

+ ويعلق القديس يعقوب السروجى على هذا التصُّرف النبيل من جانب القديس يوسف النجار متأملا وقائلاً:

«نظر الشيخ إلى بطن تلك المخطوبة وتعجّب - إذ رأى صبية خجولة وعاقلة. شكلها متضع، ولكن بطنها مملوءة - فتحّير ماذا يصنع؟! نظرتها طاهرة ورؤيتها هادئة، والذى فى بطنها يتحرك - طاهرة بجسدها، وحبلها ظاهر. فتعجب من عفتها والمجد الذى لها، ولكن بسبب حبّلها كان غاضباً. كان القديس يوسف البار حزين القلب على حبلٍ العذراء النقية - وأراد أن يسألها. فأستحى وفكر أن يُطلقها سراً».

وربما يتساءل البعض: هل كان من الضرورى تخليتّها سراً؟

+ ويجيب القديس جيروم بأن العلامات كانت واضحة - فإن لم يتخًل عنها يُحسب مذنباً حسب الشريعة اليهودية - فإنه ليس فقط من يرتكبٍ الخطية يتحمل وزرها - وإنما من يشاهدها ولا يتخذ منها موقفاً».

لذلك كان لابُد للملاك أن يُطمأنٌه فى حُلم. فقال له:

«لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك» - كما يذكر الإنجيل المقدس: (ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور - إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً: يا يوسف إبن داود لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك، لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس) (مت ١: ٢٠).

.. فإنه إذ رأى الله إرتباك هذا البار - مع سلوكه بحكمة ووقار - أراد أن يطمئنه - فأظهر له ملاكاً فى حُلم لكى يكشف له سر الحبَل الإلهى العجيب جداً.

ويعلق القديس جيروم على دعوة الملاك للقديسة مريم بأنها إمرأة يوسف قائلاً: «نحن نعرف أنه من عادة الكتاب المقدس أن يعطى هذا اللقب للمخطوبات». وهذا يؤكده المثل التالى فى سفر التثنية (إذا كانت عذراء مخطوبة لرجل - فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها - فأخرجوهما كليهما إلى باب المدينة وارجموهما حتى يموتا. الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة، والرجل من أجل أنه أذل إمراة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك) (تث ٢٢: ٢٣و ٢٤).

.. ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: هنا يدعو الخطيبة «زوجة» - كما تعوّد الكتاب المقدس فى العهد القديم أن يدعو المخطوبين أزواجاً، قبل الزواج.

وكلمة «**تأخذ**» المذكورة فى (مت ١: ٢٠) معناها أن تحفظها وتقبلها فى بيتك - كما قد عُهد بها إليك من قِبلَ الله، وليس من قِبلَ والديها.[١]

ولكن البعض يتساءل عما إذا كان قد وجد بين القديسة مريم والقديس يوسف النجار - إتفاق على البتولية حتى بعد إتمام الخطوة الثانية من الزواج - وفى هذا يجيب القديس اغسطينوس

---

(١) تفسير الإنجيل بحسب متى - القمص تادرس يعقوب ملطى - ط ١٩٨٣ ص ٤٦ و ٤٧.

مؤكداً بالإيجاب ـ ففى تعليقه على سؤال القديسة مريم للملاك (كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلاً) (لوقا ١: ٣٤) ـ يقول بالتأكيد ما كانت تنطق بهذا ولم يوجد نذر، سبق بأن تقدم بتوليتها لله ـ وقد وضعت فى قلبها أن تحققه.(١)

أما إنها كانت مخطوبة ليوسف النجار ـ فهو إجراء ناموسى حتى لا تبقى فى الهيكل بعد سن البلوغ ـ وأختير يوسف البار الشيخ المتقدم فى الأيام بواسطة رؤساء الكهنة لتكون مريم تحت رعايته وتحيا فى كنفه. وهو القديس الكهل، وهى فى سن حفيدته.

فكانت الفتاة اثناء الخطبة تُدعى إمرأة للرجل المخطوبة له ـ كما قال الملاك ليوسف النجار (لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك) (مت ١: ٢٠) ـ وبهذا الاصطلاح والتقليد المعروف ـ سجل القديس متى بتعبيره أن يوسف بعد هذه الرؤيا (فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ إمرأته) (مت ١: ٢٤).

- وكتب القديس لوقا الإنجيلى:

(فصعد يوسف أيضاً من الجليل.. ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حُبلى) (لوقا ٢: ٤ و ٥).

---

(١) كتاب القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج (١٩٨٣) ص٢١.

.. وكان هذا التدبير الإلهى ليكون إسم العذراء مريم مصوناً ومحفوظاً من الإتهام بالإثم، فتستحق الرجم ـ ولتكون لها الحماية فى كنف خطيبها، الذى يعتبر أمام الناموس زوجها والمسئول عنها ـ وليصحبها فى رحلتها إلى مصر ـ كما يقول القديس إيرونيموس (جيروم):

حتى أنه فى هربها إلى مصر تجد معها من يعزيها.. لأنه من كان فى ذلك الوقت سيصدق كلمة عذراء أنها قد حبلت من الروح القدس.[1]

.. ولم يعرفها يوسف كزوجة، بدليل الشكوك التى ساورته، حتى أتاه الملاك وقال له «لا تخف».. وهو بذلك يؤكد بتولية القديسة مريم ـ فلو كان القديس يوسف البار قد عرف القديسة مريم كزوجة لما أراد تخليتها سراً. وإذ تأكد من بتوليتها وطهارتها ـ فعل كما أمره ملاك الرب وعاش معها فى بر وقداسة، يظللهما روح الله القدوس.

وقال القديس أغسطينوس: «فى الواقع حتى العذراء نفسها دُعيت إمرأة، ليس لأنها فقدت بتوليتها، ولكن لأن هذا التعبير هو المألوف فى لغة شعبها ـ وأنها كعذراء حبلت وكعذراء ولدت، واستمرت عذراء، ولكن فى اللغة العبرانية تُدعى كل أنثى إمرأة.[2]

---

(١) ميمر الابن الوحيد ـ دير السريان ـ يناير ١٩٦٢.

(٢) كتاب القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس باسبورتنج ط ١٩٧٨ص ٢٠.

وقد ظهر ملاك الرب للقديس يوسف النجار فى حُلم وقال له:

(يا يوسف إبن داود لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس) (مت ١: ٢٠).

أين وُلِدَ المسيح؟

ورد فى الإنجيل المقدس لمعلمنا القديس لوقا البشير. أن يوسف النجار صعد من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية، إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته (ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حبلى) (لوقا ٢: ٥)، حسب أوامر أغسطس قيصر روما.

وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ـ فولدت إبنها البكر ـ وقمطته وأضطجعته فى المذود إذ لم يكن لها موضع فى المنزل) (لوقا ٢: ٦ و ٧).

.. والبشيرون لم يذكروا فى سلسلة أنساب السيد المسيح بالجسد ـ نسب العذراء مريم ـ إكتفاء بذكر نسب يوسف النجار ـ لأنه لم تكن من عادة اليهود تسجيل النسب من جهة النساء خاصة وأن العذراء مريم نفسها كانت من نفس عشيرة يوسف النجار.

.. ويتساءل البعض. إذا كانت العذراء مريم من سبط يهوذا ـ فكيف قال لها الملاك عن أليصابات (هوذا نسيبتك) (لوقا ١: ٣٦) ـ وأليصابات كانت زوجة زكريا الكاهن الذى ينتسب إلى سبط لاوى؟.

يجيب على ذلك القديس ساويرس الأنطاكى: بأنه قبل أن تصدر الوصية التى تمنع أخذ زوجة من سبط آخر ـ يذكر لنا سفر الخروج أن هارون الكاهن أخذ زوجة من سبط يهوذا (خروج ٦: ٢٣) ـ وبواسطتهما صار إتحاد السبطين بالنسب.

مركز يوسف النجار فى الكنيسة:

تسمى الكنيسة القديس يوسف النجار «خادم سر التجسد» ـ لأنه وقف بجوار العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ فلم يؤذها أحد ـ ولم يرجموها كزانية ـ وكان معها وقت هروبها إلى مصر ورجوعها إلى الناصرة.

لقاء سمعان الشيخ مع الطفل يسوع:

سمعان الشيخ هو أحد الأثنين والسبعين رجلاً (عالما) الذين كُلفوا بترجمة التوراة من العبرانية إلى اليونانية فى عصر بطليموس الثانى بمدينة الاسكندرية سنة ٢٨٢ قبل الميلاد.

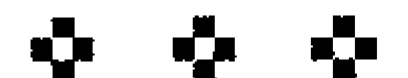
ولما كان عمر الطفل يسوع أربعين يوما ـ دخلت به أمه العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ للهيكل ـ وقابلها سمعان الشيخ، بإرشاد الروح القدس ـ وحمل الطفل على ذراعيه وقال: (الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك. وقال للعذراء الطاهرة: وأنتِ أيضاً يجوز فى نفسكِ سيف) (لوقا ٢: ٣٥).

أى كناية عن الآلام التى كابدتها، وسوف تعانى منها أيضاً.

+ وقد قابلت أم النور أيضاً فى رحلتها الطقسية، إلى هيكل أورشليم، «حَنة» النبية، وهى شخصية نسائية روحية عظيمة يصفها البشير لوقا، بأنها عبدت الرب بحب ٨٤ سنة كاملة، بأصوام وصلوات ليلاً ونهاراً فى الهيكل، وهى خير درس لكل نفس تحب الرب من كل القلب، سنوات عديدة ومجيدة، فاستحقت أن تنال بركة يسوع فى بيته.

ثالثاً: عظمة العذراء:

شهد بها رئيس الملائكة جبرائيل.. كما يذكر الإنجيل المقدس لمعلمنا القديس لوقا البشير (وفى الشهر السادس (لحبل أليصابات) ـ أُرسِل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل إسمها ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود إسمه يوسف وإسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال **سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنتِ فى النساء**. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكـرت ما عســى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك **لا تخافى يا مريم لأنكِ قد وجّدتِ نعمة عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وإبن العلى يُدعى. ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكِه نهاية**) (لوقا ١: ٢٦ ـ ٣٢):



(١) إن الآب تطلع من السماء ـ فلم يجد من يُشبهها فى النقاوة والطهارة والامتلاء بالنعمة ـ من بداية العالم إلى نهايته ـ لذلك أتى إبنه الوحيد ـ وتجسَّد منها ـ فالعذراء مريم هى أم القدوس العظيم ـ وأيضاً هى قديسة وأم جميع القديسين.

.. وفضيلة الإمتلاء بالروح والتواضع، عند العذراء القديسة مريم، هى التى جعلت الرب ينظر إليها ويختارها. فبعد أن صارت أم الله القدوس ـ بعد أن بشرها رئيس الملائكة جبرائيل ـ لم تتكبر ولم تفتّر ـ بل قالت فى إتضاع عجيب (هوذا أنا أمة الرب) ـ (أى عبدة الرب) (لوقا ١ : ٣٨).

(٢) وأيضاً من عظمة العذراء أنها كانت ثمرة الصلاة ـ فكان ميلادها ثمرة صلاة والديها العاقرين ـ حتى رزقهما الله بهذه القديسة الطاهرة العذراء مريم. ولما دخلت العذراء مريم ـ الهيكل وعمرها ثلاث سنوات ـ كانت تحيا حياة الصلاة الدائمة والعبادة الكاملة.

.. وحينما خرجت العذراء الطاهرة من الهيكل وعمرها ١٢ سنة ـ كان نتيجة الصلوات الكثيرة التى صلاها الكهنة ـ ومعهم زكريا الكاهن ـ ليُعيّن الرب من يخطب العذراء مريم ـ فخُطِبت ليوسف النجار البار، والشيخ الوقور (٩٥ سنة).

وأيضا فى بيت القديس يوسف النجار كانت العذراء مريم مداومة على الصلاة والصوم وقراءة اسفار العهد القديم.

(٣) ومن عظمة العذراء مريم تصديقها كلام الله: إن زكريا الكاهن لم يصدق ما قاله له الملاك عن حبل زوجته أليصابات. (لوقا ١: ٢٠). أما العذراء القديسة مريم ـ الفتاة الصغيرة ـ فآمنت أن يتم ما قيل لها من قِبلَ الرب. (لوقا ١: ٤٥).

رغم أن العقل لا يصدق أنِ عذراء تحبل بدون زواج ـ ورغم أن إحتمال ولادة عاقر أسهل جداً من أن تلد عذراء بتول بدون زواج.

(٤) ومن عظمة العذراء أيضاً أنها عظيمة فى إتضاعها ـ إذ خدمت أليصابات ـ فالعذراء مريم حبيبة لأنها أم المحبوب ـ وقديسة لأنها أم القدوس. وعجيب أن نعرف أن العذراء مريم لم تكن يوماً واعظة بالكلام ولكن حياتها الصامتة كانت عظة عظيمة ـ رأى الناس فيها صورة خالقها ـ وقال عنها القديس امبروسيوس «هوذا أمام أعينكم صورة لحياة مريم البتولية التى تضىء ببهاء العفة، وشكل الفضيلة كما فى مرآة» [١]

(٥) وأيضاً من عظمة العذراء أنها أم السيد المسيح ـ ولدته وقمطته واضطجعته فى المذود (لوقا ٢: ٧) ـ لأنه لم يكن له موضع فى المنزل ـ لكن كان له موضع فى قلب العذراء الطاهرة القديسة مريم والدة ملك الملوك ورب الأرباب ـ وهؤلاء قالوا عن العذراء الطاهرة ما يلى:

---

(١) كتاب القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج. (١٩٧٣) ص٤١.

أ ـ بنات كثيرات عملن فضلاً وأما أنتِ ففقتّ عليهن جميعاً. (سليمان الحكيم).

ب ـ إسمعى يا إبنتى وانظرى وأميلى سمعكِ وانسى شعبكِ وبيت أبيكِ فإن الملك قد اشتهى طُهركِ (سفر النشيد).

جـ ـ كان يسوع خاضعاً لأمه (القديس لوقا).

د ـ إن كان الابن ملكاً ـ فيلزم بكل عدل أن تدعى والدته ملكة. (القديس اثناسيوس).

(٦) ومن عظمة العذراء أنها أنكرت ذاتها ـ فحينما كان السيد المسيح له المجد عمره ١٢ سنة وهو فى الهيكل وسط المعلمين ـ وكانت العذراء مريم تبحث عنه ـ فلما وجدته قالت له: هوذا أبوك (وكانت تقصد القديس يوسف النجار) وأنا، كنا نطلبك مُعذَبين. (لوقا ٢: ٤٨) ـ فقدمت القديس يوسف البار عنها، احتراماً لشخصه.

(٧) ومن عظمة العذراء أنها عاشت شاكرة ـ فقد عاشت أم النورر فى حياة شكر وتسبيح دائم لله سواء فى طفولتها فى الهيكل، أو فى بيت يوسف النجار، أو فى ضيافة أليصابات (لو ١: ٤٠)، أو فى وقت التجارب والضيقات! وقد نطقت بأعظم تسبحة روحية لشكر الله ـ لسماحة لها بأن تكون العذراء الوحيدة الموعودة بمجىء السيد المسيح المُخلص منها (إش ٧: ١٤) ـ وركزت فى شكرها لله على النعم الروحية الكثيرة التى وهبها لها الله. فقالت (تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى، لأنه نظر إلى إتضاع أمته.. لأن

القدير صنع بى عظائم وإسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه) (لوقا ١: ٤٦ - ٥٠).

(٨) ومن عظمة العذراء أيضاً أنها تتمتع بفضيلة الصمت - فقد كانت أم النور حكيمة. ومثالاً للإنسانة الروحية المتعمقة فى حياة الشركة مع الله - وتدربت على حياة الصمت والسكون والهدوء والتأمل الدائم فى كلمة الله، والحديث معه. وحينما يسكت اللسان مع الناس يتكلم القلب مع الرب. وما أشد حاجتنا إلى التدُّرب على الصمت والسكون، لأن (كثرة الكلام لا تخلو من معصية) (أم ١٠: ١٩) وما أجمل قول القديس أنبا بيمن «الكلام من أجل الله جيد، والسكوت أيضاً من أجل الله جيد».

(٩) ومن عظمة العذراء أنها كانت مُتعبدة - تعيش حياة الصلاة الدائمة، منذ طفولتها الأولى بالهيكل، مرددة المزامير والتسابيح لله - وهذه هى المحبة الحقيقية للرب: (تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل **فكرك** ومن كل قدرتك) (مر ١٢: ٣٠).

.. ولما انتقلت أم النور إلى بيت القديس يوسف النجار - حَوّلته إلى كنيسة صغيرة يرتفع منها بخور الصلوات العطرة وتسابيح الحمد والشكر لله، فأحبَّها الرب، وسكن فى قلبها المتواضع - فاستحقت بشارة السماء وتشرفت بمجىء رئيس الملائكة «غبريال» إليها - فى بيتها الريفى البسيط، وحل عليها الروح القدس - فى هذا الموضع المقدس - ومن ثم إنطبق على العائلة المقدسة القول الإلهى

(إذا اجتمع إثنان أو ثلاثة بأسمى، هناك أكون فى وسطهم) (مت ١٨: ٢٠).

ويذكر تاريخ الكنيسة أن القديسة العذراء مريم أسرعت لنجدة القديس «متياس» الرسول ـ حينما تشفع بها ـ فحملتها سحابة نورانية من أرض فلسطين ـ إلى آسيا الصغرى ـ حيث صَلّت أمام أبواب السجن بمدينة برتوس فذابت الأبواب الحديدية «عيد العذراء حالة الحديد» ـ وأنقذت رجل الله من سجنه ـ وشفت ابن الملك.

.. وفى أيامنا هذه رأينا وسمعنا عن ظهور أم النور فى الزيتون وشبرا وفى المطرانية القبطية بالقدس ـ وفى أوربا ـ وفى بيوت المؤمنين ـ وهى تشفى الطالبين من كل جنس ودين. بركة شفاعتها تكون معنا آمين.

وقد انتظرت العذراء «مريم» **موعد الآب** من السماء. (أع ١) مع بقية المؤمنين ـ وظلوا فى إجتماع روحى مستمر ـ فى عُلية صهيون وداوم الجميع على الصلوات والعبادة ليل نهار ـ حتى يوم حلول الروح القدس عليهم. (أع ٢: ١) فأمتلأت العذراء بالروح القدس ونالت نعمة فوق نعمة ـ وقضت بقية حياتها فى عبادة ـ مع عذارى جبل الزيتون حتى جاءت ساعة نياحتها السعيدة ـ وكانت تسبح الله فى تلك الساعة ـ فأتى إليها المخلص وعزّاها وأعلمها بانتقالها من هذا العالم الفانى ـ فباركت العذارى حولها ورقدت فى الرب.[١]

---

(١) كتاب فضائل أم النور ـ ارشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.

(١٠) ومن عظمة العذراء مريم تحملُّها شكوكاً كثيرة:

فيـذكر التقليد الكنسى أنه فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس سنة ٢٨٢ قبل الميلاد طُلب من إثنين وسبعين شيخاً من اليهود (أحبار) أن يترجموا التوراة إلى اليونانية ـ والتى سميت الترجمة السبعينية ـ وكان الكاهن سمعان الشيخ أحد هؤلاء ـ وكُلف بترجمة سفر إشعياء النبى ـ وعند ترجمته للآية ١٤ من الأصحاح السابع (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل) ـ رأى سمعان الشيخ أن الترجمة قد يعترض عليها كثيرون ـ فأراد أن يستعيض عن كلمة «العذراء» بكلمة «الفتاة» لأنه أراد أن يترجم ترجمة لا يلومه عليها الفلاسفة اليونانيون.

فظهر له ملاك الرب وأكد له أنه لن يموت حتى يرى مولود العذراء هذا ـ وطالت الأيام وضعفت عينى سمعان الشيخ وإنحنى ظهره ـ فطلب من الرب كثيراً أن يتحنن عليه ويطلق روحه من جسده ـ وكما يقول المثَلَ العامى «الكِبرَ عِبرَ»، ولكن الرب تمهّل عليه حتى جاء ملء الزمان والموعد المعيّن من الله ـ وأرشده الروح القدس إلى مجىء هذه العذراء الطاهرة ـ فقابلها فى الهيكل ـ وحمل طفلها على يديه، وسبّح الرب قائلا (**الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك** الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل).(لوقا ٢: ٢٩ - ٣٢).

.. ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص: «سمعان إنطلق ـ لقد تحرر من عبودية الجسد، الفخ إنكسر والطير إنطلق». [1]

.. فالعذراء الطاهرة القديسة مريم ـ منذ حبلها الإلهى ـ تحملت فى صمت آلاما كثيرة منها:

أ ـ شكوك القديس يوسف النجار عندما شاهد حبلها المفاجئ.

ب ـ لم يكن لها مكان فى منزل تضع فيه مولودها فى بيت لحم ـ فولدته فى مذود للبقر الذى يقدم للتكفير عن الكهنة والشعب. ويلاحظ أن ميلاد الرب يسوع فى مذود البقر ـ ليس فقط أنه ولد فقيراً ـ فالسيد المسيح هو الذبيح الأعظم الذى بسفك دمه أو بذبحه ـ يُكفّر عن خطايا كل العالم. فكان لابُد له أن يولد مع ذبائح التكفير عن الخطايا.

جـ ـ وعاشت العذراء الطاهرة حياة بسيطة فى بيت القديس يوسف النجار ـ وكانت دائماً تشكر الله ـ فقد تمت ولادة ملك الملوك فى مذود البقر ـ وهذا الوضع يدل على تواضع الرب يسوع الذى لم يهتم بأمجاد العالم.(٢)

د- قاست العذراء الطاهرة القديسة مريم فى رحلتها الشاقة من فلسطين إلى مصر ـ فحينما صدر إليها التحذير الإلهى بأن الملك

(١) كتاب تفسير إنجيل لوقا ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج ط ١٩٨٥ ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) كتاب تفسير إنجيل لوقا ـ ارشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر ط (٢٠٠٠) ص ٣٠ و ٣١.

القاسى هيرودس مزمع أن يقتل طفلها الرضيع ـ وليس أمامها سوى أن تُسرع بالهرب إلى أرض مصر (مت ٢: ١٣) وما أقساه من سَفر! وما أطولها رحلة فى أرض غريبة وبين أناس لا تعرف لغتهم أو عاداتهم ـ وقد قطعت العائلة المقدسة مئات الكيلومترات، فى طريقها من جبال فلسطين إلى وادى النيل ـ سيراً على الأقدام وعلى الدواب بين زمهرير الشقاء وهجير الصيف.

.. ويذكر التاريخ القديم أن العائلة المقدسة تعرضت لتجربة اللصوص القساة القلب فى صحراء سيناء ـ فتأكدت بعدها برعاية الله لها.

.. وعندما وصلت العائلة المقدسة إلى أرض مصر قوبلت بالرفض والطرد أينما حلت حيث كانت الأصنام تتساقط عند مرور الطفل الإلهى أمامها ـ فيسرع المصريون بطرد العائلة المقدسة تشاؤماً منها! حتى وصلت إلى جوف الصعيد واختبأت فى مغارات الجبال هرباً من جنود هيرودس الذين سعوا وراءها (كما يذكر التقليد). وقد نالت العذراء الطاهرة التعزيات الروحية عندما كانت تشاهد وليدها العظيم يصنع المعجزات الباهرة ـ وبيده الطاهرة فجّر الماء من باطن الأرض (فى مسطرد) ـ وشفى المرضى وقدم البركة للمكان الذى يحل فيه. وفى الوقت الذى رفض فيه أهل المطرية إقراض العذراء بعض الخبز (ففارقتهم البرَكة ولم يختمر لهم عجين) ـ وبمحبة شاركت العذراء الطاهرة بعض الأسر المصرية ـ فبارك الرب فى خبيزهم الذى شاركت فيه أم النور بيدها المباركة ـ وهكذا

تباركت بلادنا المصرية بقدوم مخلصنا الصالح وأمه الطاهرة البتول المباركة ـ وبعد نحو عامين من المعاناة فى أرض الغربة ـ عادت الأم الحنون بطفلها المبارك فى نفس الطرق الوعرة ـ وبعد سفر طويل ـ إستقرت العائلة المقدسة فى الناصرة (لوقا ٤: ١٦) ـ وببساطة قلب وحب ـ عاشت العائلة المقدسة فى عبادة الرب.[١]

❖ ❖ ❖

نسطور وبدعته:

.. ينكر البعض على كنيستنا الأرثوذكسية تسميه السيدة العذراء «والدة الإله» لأنه كيف تلد العذراء الإله أو تصير أم الله؟.

إن هذه القضية ليست جديدة ولكنها منذ نادى نسطور بطريرك القسطنطينية ببدعته، ورفض أن تُلقّب العذراء مريم «أم الله» ـ قائلا إنها «أم المسيح» بدعوى أن الإله لا يمكن أن يولد من إمرأة!!

ولكن البابا كيرلس الأول (الكبير) بطريرك الاسكندرية الـ (٢٤) ـ الملقب عمود الدين ـ تصدى لهذه الهرطقة وفندها وبيّن ضلال القائلين بها ـ وكتب إلى إكليروسه وشعبه رسالة قال فيها «مادام المسيح هو الإله المتجسد ـ كانت أمه من غير شك أماً لله المتجسد ـ وهذا هو الإيمان الذى سلمه لنا الرسل والعقيدة التى دان بها أباؤنا أن الرب الإله الكلمة (يسوع) أخذ جسداً من العذراء مريم ـ واتحد به وصار يسوع المسيح الله الظاهر فى الجسد والله المتجسد ـ ليس

---

(١) كتاب فضائل أم النور ـ ارشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.

لأن طبيعة الكلمة قد بدأت مع السيدة العذراء مريم ـ ولكن لأن فى داخلها نما جسده المقدس (ناسوته) وجعله واحداً مع لاهوته بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير.

لذلك نهتف مع يوحنا الحبيب قائلين (الكلمة صار جسداً) (يوحنا ١: ١٤).

وكما أن الأم البشرية رغم إنه لا يد لها فى خلق نفس إبنها ـ هى أم لأبنها بأكمله وليس لجسده فقط ـ هكذا السيدة العذراء هى أم السيد المسيح بأكمله وليس لجسده فقط ـ فهى نالت بحق لقب أم الله(١)

.. ولما لم يرجع نسطور عن غيِّه ـ إنعقد مجمع افسس المسكونى سنة ٤٣١م برئاسة البابا كيرلس الأول عمود الدين. وناقشه الآباء المائتان ـ فى فساد رأيه وإنحرافه اللاهوتى ـ فلم يرتدع ـ فأصدر المجمع قراره بحّرمه، وكتبوا للملك ثاؤدوسيوس الكبير، رسالة يقولون فيها : «نحن نؤمن أن عمانوئيل هو الإله المتأنس ـ وأما نسطور فلم يشأ أن يشاركنا فى هذا الإيمان ولذلك فهو غريب من الآب والإبن والروح القدس ـ غريب من ميراث الرسل ـ غريب من البيعة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية ـ هو وكل من لا يقول أن عمانوئيل هو الإله المتأنس وكل من لا يقول أن العذراء مريم ولدت الإله الكلمة متجسداً»(٢)

(١) قصة الكنيسة القبطية ـ إيريس حبيب المصرى جـ١ص ٣٩٤.

(٢) كتاب مختصر تاريخ الأمة القبطية، سليم سليمان (١٩١٤) ص١٠١.

.. لقد إستحق نسطور هذا الحُرم لأنه فصل طبيعة السيد المسيح الإلهية عن الناسوتية، مركزاً على الطبيعة الناسوتية.

+ وقد وضع الآباء مقدمة قانون الإيمان ـ الذى وضعه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ـ رداً على بدعة أريوس الذى أنكر ألوهية السيد المسيح ـ وأضاف الجزء الثانى آباء مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م رداً على بدعة مقدونيوس ضد الروح القدس ـ وضمنوا هذه المقدمة وجهة النظر الأرثوذكسية والتعليم الكنسى القويم ليكون قانون الإيمان ومقدمته دستور إيمان المسيحية على مدى الأزمان ـ وهذا نصها:

«نعظمكِ يا أم النور الحقيقى ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنكِ ولدتِ لنا مخلص العالم كله أتى وخلص نفوسنا»(١)

.. والمجامع المسكونية التى تؤمن بها كنيستنا الأرثوذكسية ـ هى ثلاثة: مجمع نيقية، مجمع القسطنطينية، مجمع افسس.

مجمع نيقية: إنعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م وعدد الحاضرون فيه ٣١٨ برئاسة بابا الاسكندرية الـ (١٩) البابا الكسندروس ـ واشهر الشخصيات التى صاحبته هما: الأنبا شنوده رئيس المتوحدين والشماس أثناسيوس ـ والهرطقة التى حكم عليها هى إنكار أن السيد المسيح مساوٍ للآب فى الجوهر ـ رداً على بدعة أريوس الذى أنكر إلوهية السيد المسيح.

---

(١) كتاب أم وعذراء ـ القمص ابراهيم جبره.

مجمع القسطنطينية: إنعقد فى القسطنطينية سنة ٣٨١م من مائة وخمسون ـ برئاسة بابا الاسكندرية الـ (٢٢) البابا تيموثاوس ـ رداً على بدعة مقدونيوس ضد الروح القدس ـ والهرطقة التى حكم عليها هى إنكار لاهوت الروح القدس.

مجمع افسس: إنعقد فى افسس سنة ٤٣١م ـ وحضره مائتان ـ برئاسة البابا كيرلس الأول عمود الدين بابا الاسكندرية الـ (٢٤) ـ والهرطقة التى حكم عليها هى إنكار قسطور أن العذراء مريم هى والدة الإله المتجسد[١].

.. ولم يحدث فى تاريخ العالم كله ولن يحدث ـ أن عذراء تحبل وتلد ـ لقد ولدت سارة إبنا فى شيخوختها ـ واعُطيت حَنه إبنة بعد يأسها ـ وأليصابات رزقَت بإبن وهى متأخرة فى ايامها ـ وإن كان هذا امراً عسيراً بالنسبةَ للبشر ـ ولكن (هل يستحيل على الرب شىء) (تك ١٨: ١٤).

ولهذا كان رد الملاك على استفسار العذراء «مريم»

(ليس شىء غير ممكن لدى الله) (لو ١: ٣٧).

مركز العذراء فى الكنيسة:

إن درجة العذراء مريم أعلى من الملائكة والأنبياء في اللاهوت الكنسى ـ لقربها من الله ـ وقداستها وطهارتها ـ وشفاعتها أكثر من جميع الأنبياء.

---

(١) كتاب قداسة البابا شنوده الثالث جـ٤ مسابقات فى العيدة واللاهوت (٢٠٠٦) ص ١٤٣، ١٤٤.

فالعذراء مريم قبلت عمل الروح القدس ـ ليقدس مُستودّعها ويُطهّر كل كيانها، حتى تستطيع كلمة الله أن تأخذ من لحمها ودمها ـ جسداً له ـ أما الأنبياء.فقد قبلوا الروح القدس فى الذهن والفم لينطقوا بكلام الله إلى فترة زمنية معينة.[1]

.. كما أن كلام الله الخارج من فم الأنبياء كان وقتياً، للتأديب والتعليم ليُناسب جيلهم. أما كلمة الله الذى خرج من أحشاء العذراء الطاهرة القديسة مريم فهو شخص الرب يسوع المسيح، إبن الله الأزلى الأبدى، الكلمة المُحّيِ والمتكلم فينا بالحب والحياة إلى نهاية الدهور.

.. وفى الحقيقة نرى أن العذراء مريم ـ تعلن بإيمان عظمة عمل الله معها وتقديسها بقولها (فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تُطوّبنى) (لوقا ١: ٤٨) ـ بينما نسمع إشعياء النبى الإنجيلى ـ عظيم أنبياء العهد القديم يقول (ويل لى لقد هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين) (إش ٦: ٥).

.. كما أن درجة العذراء مريم أعلى من الشاروبيم وكافة الملائكة، فى اللاهوت الكنسى ـ فمعلمنا القديس بولس الرسول يعرفنا عن الملائكة أنهم درجة خادمة ـ فيقول (الملائكة جميعهم أرواح خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص) (عب ١: ١٤) ـ ومن حيث طبيعتهم يقول (الصانع ملائكته رياحاً وخُدامّه لهيب نار) (عب ١: ٧).

---

(١) كتاب العذراء فى اللاهوت الكنسى

فالملائكة بالرغم من كونهم أرواح نارية ـ إلا انهم لم يبلغوا فى اللياقة ما يؤهلهم ليكونوا إناءً لطبيعة الله النارية ـ أما هذه الفتاة المباركة «مريم» فقد صارت إناء للطبيعة الإلهية النارية التى ترتعب منها الملائكة، وذلك دون حرج، بسبب ما حازته من طهارة وإتضاع عظيمين ـ كقول الكتاب المقدس: (لأن الرب إلهك هو نار آكلةُ) (تث ٤: ٢٤).

.. وتكريماً للعذراء القديسة «مريم» خصصت الكنيسة الأرثوذكسية شهر كيهك للتسابيح والمدائح والترانيم الكثيرة ـ لتمجيد العذراء الطاهرة مريم أم النور ـ وأسمته الشهر المريّمى ـ لأنه آخر شهر فى الحبل الإلهى (الشهر التاسع).

+ ومن مظاهر إكرامنا للعذراء القديسة مريم ـ ما يلى:

(١) نسمى كثير من كنائسنا ومذابحنا وبعض اديرتنا على إسمها.

(٢) نسمى بعض بناتنا بإسمها.

(٣) نصوم لأجلِ خلاص أنفسنا ليعطينا الرب طلبتنا حسب مسرة قلبه ـ فنصوم بإسمها للرب خمسة عشر يوماً.

(٤) نضع أيقوناتها فى كنائسنا ـ وصورها فى منازلنا.

(٥) تُضاء الشموع أمام أيقوناتها وصوّرها المقدسة.

(٦) تُقام التماجيد والألحان والطقوس بإسمها إكراماً لها.

(٧) تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بأعيادها وتذكاراتها الكثيرة.

رابعاً: دور القديسة مريم فى التجسَّد الإلهى:

العذراء القديسة «مريم»، هى الإناء المختار من الله ـ وواسطة الخلاص ـ ووسيلة التجسُّد.

.. ويقول الكاثوليك إن العذراء مريم حُبل بها بلا دنس. والحقيقة أن القديسة مريم حَبلَتْ بها أمها حبلاً عادياً ـ لذلك إحتاجت إلى الخلاص كباقى البشر ـ لهذا قالت فى تسبحتها: (تبتهج روحى بالله مُخلِصّى) (لو ١: ٤٧).

.. والسيد المسيح له المجد ـ تجسَّد من الروح القدس ومن العذراء مريم ـ لذلك قال لها رئيس الملائكة جبرائيل (الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلى تظللكِ) (لوقا ١: ٣٥).

.. وقد حل الروح القدس على العذراء مريم لسببين هما:

(١) لكى يكون فى بطنها جسد السيد المسيح بدون زرع بشر.

(٢) لكى يُهيّئ منها جسداً بلا خطية مقدساً ـ يقدس محتواها ـ بحيث أن المولود منها يكون بلا خطية. كما قال السيد المسيح عن نفسه (من منكم يُبكتّنى على خطية)؟ (يو ٨: ٤٦) ـ لذا قال الملاك للعذراء القديسة مريم: (فلذلك القدوس المولود منكِ يُدعى إبن الله) (لوقا ١: ٣٥).

.. ونحن نجد أن قانون الإيمان يقول: تجسد وتأنس ـ أى أن العذراء مريم هى والدة الإله ـ لأنها أم الرب يسوع المسيح إبن الله الذي هو نفسه الله الظاهر فى الجسد. (١تيمو ٣: ١٦).

.. والعذراء مريم هى والدة الإله المتأنس والمتجسد. وقد قال السيد المسيح له المجد عن نفسه أنه إبن الإنسان. أى أخذ طبيعتنا الإنسانية من القديسة مريم ـ فهو إبن الله، لأنه مولود من الآب كولادة النور من النور منذ الأزل ـ كقول الوحى الإلهى على فم معلمنا القديس بطرس الرسول:

(أنت المسيح إبن الله الحى) (مت ١٦: ١٦).

وهو إبن القديسة مريم لأنه مولود من أم بلا أب.

.. والملاك عندما بشر الرعاة بميلاد السيد المسيح قال لهم: (لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه وُلِدَ لكم اليوم فى مدينة داود مُخلِصٌ هو المسيح الرب) (لوقا ٢: ١٠و ١١).

حواء الثانية:

تقول الكنيسة عن العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ انها حواء الثانية:

١- لأن حواء الأولى صدَّقت الحية ـ أما حواء الثانية فصدقت رئيس الملائكة جبرائيل.

٢- حواء الأولى بعد الخطية صارت تحت اللعنة، وهكذا أولادها. أما حواء الثانية فصارت بالتجسُّد الإلهى منها أم الحياة ـ وقدمت لأبناء آدم ثمرة الحياة ليأكلوا منها ويحيوا إلى الأبد.

* العذراء مريم لها دورها فى خطة الله لخلاصنا.

والعذراء مريم هى السماء الثانية ـ هى هيكل الله ـ والسيد المسيح له المجد هو إله الهيكل.

والعذراء مريم أمنا ـ لها كل التقدير والإكرام ـ وبكل فخر نعتز بأمومتها. فقد صارت والدة الإله ـ لا لأنها مجرد أداة أو شخصية على هامش سر التجسد المجيد ـ ولكن لها دورها ونصيبها الهام ـ وإلا لما قال معلمنا القديس بولس الرسول إن اليهود (صلبوا رب المجد) (١كو ٢: ٨) ـ وقال أيضاً عن السيد المسيح (الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد) (رو ٩: ٥).[١]

.. نحن مدينون للعذراء القديسة مريم ـ لأن قبولها للبشارة ـ فتح لنا باب الخلاص ـ وحلول الروح القدس ـ ولهذا نطوبها مع أليصابات التى قالت (طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبلَ الرب) (لو ١: ٤٥).

.. لقد صارت العذراء مريم شفيعة لنا جميعاً ـ عندما خضعت لبشارة الملاك، وقبلت أمر الرب. لقد رفعت العذراء مريم ـ كرامة جنسنا ـ وهى إنسانة مثلنا، صارت أم الله ـ جلست ملكة عن يمين الملك ـ صارت أعلى من الشاروبيم، وارتفعت فوق السيرافيم ـ صارت سماءً ثانية ـ صارت كرسى الآب ـ وأم النور ـ لأنه خرج منها شمس البر الذى صيّرنا بالتبعية نور العالم ـ وصارت سماء ثانية جسدانية، لأنه سكن فيها الإله ـ صارت مسكناً للقدوس ونبعاً للطهارة والخلاص.

---

(١) كتاب أم وعذراء ـ القمص ابراهيم جبره ـ طبعة ١٩٧٨.

والعذراء مريم أدخلتنا فى قرابة جسدية للرب يسوع. إذ أن للعذراء مريم أخت إسمها **مريم** أيضاً ـ وهذه الأخت صارت خالة للسيد المسيح بالجسد. وللعذراء مريم أقارب. فهؤلاء صاروا أقارب للسيد المسيح بالجسد. الإله غير المحدود دخل فى نسب عائلة من جنسنا، عن طريق تجسّده من العذراء مريم، قريبتنا كلنا بالجسد.

هذه العائلة صفتها الأولى القداسة، لأن المقدس والمقدسين الذين هم نحن المؤمنون قد تقدسّنا بالروح القدس ـ ولهذا لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلاً «أخبر بأسمك إخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك».

وهـذه العائلة رأسها الرب يسوع ـ البِكر ـ ليكون بكراً بين إخوة كثيرين.

والعذراء مريم هى الأم ـ أما أعضاء هذه العائله فهم المؤمنون من آدم إلى آخر الدهور ـ جميع المؤمنون بالرب يسوع المسيح.

.. إن العذراء الطاهرة القديسة مريم هى التى قامت بدورها العظيم فى إتمام سر التجسد والميلاد. ولدته وهى عذراء وبتوليتها مختومة ـ وكانت هذه معجزة إلهية ـ ثم خدمته كطفل صغير ينمو قليلا قليلاً كشبه البشر وهو بلا خطية وحده ـ وتحملت من أجله الكثير من الاضطهادات والمتاعب والرحلة الشاقة فى الهروب إلى مصر والرجوع منها وغير ذلك الكثير من الآلام الصعبة.

دور أمنا العذراء مريم فى التجسد:

(١) هى التِى قدس الروح القدس أحشائها ليأخذ الإبن الكلمة منهـا ناسوتـاً. وإتحـد به كنبُّوة إشعيـاء النبى الإنجيلى القائلة: (ها العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو إسمه عمانوئيل) (إش ٧: ١٤).

(٢) العذراء مريم هى التى نابت عن المنتظرين الفداء ـ فى قبول البشارة بمجئ الفادى ـ أما النائب عن العالم كله هو شخص الرب يسوع المسيح، لأنه لا نهائى.

(٣) هــى التى وجدت نعمة عند الله حتى صارت مستحقة أن تكـون والـدة الإلـه (ثيؤطـوكـوس) ـ كقول الإنجيل المقدس: (لأنكِ قد وجدتِ نعمة عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع) (لو ١: ٣٠ و ٣١).

(٤) هى ثمرة تربية هيكلية وعناية ملائكية ـ فهى قمة هذه التربية ـ وهى ثمرة الإعداد الإلهى للبشرية ـ فعندما ظهرت فى التاريخ ـ جاء ملء الزمان ليولد الأبن الكلمة من بطنها ـ كقول معلمنا القديس بولس الرسول (ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة) (غل ٤: ٤).

(٥) هى مثال لكل نفس تستطيع أن تستقبل السيد المسيح فى داخلها ـ ومن هنا نرى الدور الإيجابى للأم البتول فى سر التجسد والخلاص.

.. وإذا أردتم أن تعرفوا أن السيدة العذراء ليست مجرد أداة للتجسد ـ إنما لها دور إيجابى فى سر التجسد والخلاص ـ أقول

لكم بالنص ـ ما قاله القديس كيرلس الأول ـ (عمود الدين) البابا الـ (٢٤) من بابوات الاسكندرية ـ فى إفتتاحية مجمع أفسس سنة ٤٣١م:

«السلام لمريم الثيؤطوكس (والدة الإله) الكنز الثمين الذى وجده العالم ـ المصباح غير المنطفئ قط ـ تاج البتولية ـ عمود الأرثوذكسية ـ الهيكل غير المنهدم ـ الموضع الذى إحتوى غير المحوّى ـ الأم الباقية عذراء»[١].

.. وبطن العذراء مريم هى المعمل الذى تم فيه التجسد الإلهى ـ بهذا التعبير اللاهوتى العميق جداً تعرض الآباء القديسون لموضوع التجسد الإلهى. فبطن العذراء هى المعمل الذى تم فيه الاتحاد العجيب بين اللاهوت الذى لا يدنى منه ـ وبين البشرية الضعيفة.

وفى هذا تقول الكنيسة «السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق الذى للطبائع التى أتت معاً إلى موضع واحد بغير إختلاط» (ثاؤطوكية الأربعاء).

لأن غير المتجسد تجسد ـ والكلمة تجسم ـ وغير المبتدئ ابتدأ ـ وغير الزمنى صار زمنياً ـ غير المدرك لمسوه ـ والغير المرئى رأوه ـ إبن الله الحى صار بشرياً بالحقيقة. الله المستريح فى قديسيه تجسد من العذراء لأجل خلاصنا (الآب تطلع من السماء فلم يجد من يُشبهكِ. أرسل وحيده أتى وتجسد منكِ) (ثاؤطوكية الأربعاء).

وعندما أراد الله الاتحاد بالبشر أخذ جسداً من العذراء مريم.

---

(١) كتاب اسئلة الشباب حول التجسد الإلهى ـ القس اثناسيوس بطرس ـ بكنيسة الأنبا رويس (١٩٧٠).

ولقد عبّر الآباء القديسون تعبيراً دقيقاً عن هذا الإتحاد. فاعتبروا أن البشرية كلها ـ نسل آدم وحواء ـ طبيعة واحدة ـ عجينة واحدة ـ ثم أخذ الله من هذه العجينة ليتحد بها ـ وبهذا يكون قد إتحد بالجنس البشرى كله ـ وهذا الإتحاد تم فى المعمل (أى بطن العذراء الطاهرة مريم) كل عجينة البشرية أعطتها (أى السيدة العذراء) بالكمال لله الخالق «كلمة الآب» (ثاؤطوكية الخميس).

وبهذا تكون السيدة العذراء مريم هى التى قدمت الطبيعة البشرية للتجسد الإلهى ـ كقول معلمنا القديس بولس الرسول (وبالأجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد) (١تيمو ٣: ١٦).

.. إن فكر آبائنا ركز على أن العذراء مريم قدمت من لحمها ودمها للإتحاد باللاهوت ـ وبهذا نُحس بعمقٍ ولذة وروحانية تجسد المسيح الذى أخذ جسدنا ـ وصار شبيهاً لنا فى كل شىء، ماخلا الخطية وحدها.

.. وأعظم برَكَة من التجسد الإلهى، هى أن الله دخل فى نسبنا وصار بشراً مثلنا ـ كقول معلمنا القديس بولس الرسول (فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً) (اف ٥: ٣٠) ـ وصارت العذراء باب السماء لأنها كانت أول إنسانة تحمل الإله المتجسد منها فى احشائها ـ ومن بعدها صار لنا هذه الإمكانية ـ فهى صارت لنا الباب الذى دخلنا به لأعماق فكر التجسد الإلهى فى جنسنا.[١]

---

(١) كتاب لماذا تجسّد المسيح ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج ـ من سلسلة كتب إيمان كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

خامساً: دوام بتولية العذراء:

من عظمة القديسة الطاهرة العذراء «مريم» ـ دوام بتوليتها ـ فهى عذراء قبل الحَبَل الإلهى وبعده ـ وعند الولادة وبعد الولادة ـ وحتى نياحتها ـ لذلك تسميها الكنيسة **«دائمة البتولية»**.

.. وبتولية العذراء مريم ـ حقيقة إنجيلية ـ لذلك تنبأ عنها إشعياء النبى الانجيلى قائلا (ولكن يعطيكم السيد الرب نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل) (إش ٧: ١٤).

و (عمانوئيل تفسيره الله معنا) (مت ١: ٢٣).

.. ونلاحظ فى نبوءة إشعياء النبى ـ لم يقل عذراء تحبل وتلد ـ بل قال ها العذراء تحبل وتلد ـ أى إنه ليست أى عذراء تحبل وتلد ـ ولكن المُعّينة من الله.

وأيضاً مما يثبت بتولية العذراء أن حبلها كان من الروح القدس. وكما وُلِدَ الرب يسوع من القديسة مريم وبقيت بتوليتها مختومة ـ قام وخرج من القبر وأختام القبر كما هى سليمة ـ وهذا دليل قوى على بتولية العذراء ـ وأيضاً دخوله العُلية والأبواب مغّلقة.

.. وقد إعترض البروتستانت على دوام بتولية العذراء مريم ـ فقالوا إنها تزوجت ـ ودليلهم على ذلك قول الإنجيل المقدس عن القديس يوسف النجار (ولم يعرفها **حتى** ولدت إبنها البكر ودعا إسمه يسوع) (مت ١: ٢٥) ـ فكلمة حتى عندهم تفيد الزواج!.

هل لو قلنا إن فلانة لم تتزوج حتى ماتت ـ فهل معنى ذلك أنها تزوجت بعد وفاتها!!.

إن عبارة لم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر لا تعنى بالضرورة أن القديس يوسف البار عرفها بعد ولادتها السيد المسيح ـ لأن كلمة «حتى» لا تعنى التنبؤ بما يحدث بعد ذلك ـ كقول الكتاب المقدس: «لم تنجب ميكال إبنة شاول حتى ماتت» ـ وهذا لا يعنى أنها ولدت بعد موتها. (٢ صم ٦: ٢٣). [١]

.. ولا يوجد نص فى الكتاب المقدس يُبِّين زواج القديس يوسف النجار ـ بالقديسة الطاهرة العذراء «مريم».

.. ولو كان للعذراء ولد أو بنت ـ لما كان السيد المسيح له المجد ـ وهو معلق على الصليب يقول لها عن تلميذه البتول الطاهر القديس يوحنا الحبيب (يا إمرأة هوذا ابنكِ. ثم قال للتلميذ هوذا أمك) (يو ١٩: ٢٦ و ٢٧).

.. أما لماذا دُعِيَت العذراء إمرأة (مت ١: ٢٤) ـ يجيب على ذلك القديس اغسطينوس بقوله ليس لأنها فقدت بتوليتها، ولكن لأن هذا التعبير هو المألوف فى لغة شعبها ـ والرسول بولس نفسه يقول بخصوص الرب يسوع المسيح «مولوداً من إمرأة»

(١) كتاب القديسة مريم فى المفهوم الارثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج (١٩٨٣) ص ٢١.

(غل ٤: ٤) ولكن هذا لا يُعنى تحطيم إيماننا الذى نعترف فيه أن السيد المسيح له المجد مولود من الآب منذ الأزل قبل كل الدهور ـ وتجسد من الـروح القـدس والعذراء مريم ـ لأنها كعذراء حبلت وكعذراء وَلدت ـ واستمرت عذراء إلى نهاية حياتها على الأرض. ولكن فى اللغة العبرانية يدعون كل أنثى إمرأة ـ وها هوذا أوضح مثل لذلك أول أنثى صنعها الله آخذاً إياها من جنب الرجل (آدم) هى أيضاً دُعِيَت إمرأة قبل أن يعرفها الرجل ـ إذ أن ذلك حدث بعد خروجها من الفردوس (الأرضى) ـ لأن الكتاب المقدس يقول (وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة) (تك ٢: ٢٢)[١].

.. وإن لم تصر **العذراء ـ أمَّاً** ـ فما هو الإعجاز؟ وما هو عمل الله الذى سيكون عجيباً؟ وما هى الآية التى وعد الله بها قبل مئات السنين أن يعطيها لشعبه بقوله (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد إبنا) (إش ٧: ١٤).

وإن كانت عـذراء تصـير أُماً ـ هـو مـن الأمـور المستحيلة الحـدوث ـ لكـن عنـد اللـه كل شىء ممكن ومستطاع ـ وقد أوضح الملاك للعذراء مريم ـ ذلك بقوله (لأنه ليـس شىء غير ممكن لدى الله) (لوقا ١: ٣٧)[٢].

---

(١) كتاب مريم سيدة جميع النساء جـ١ ـ القمص ابراهيم جبره ص٣٥.

(٢) كتاب أم وعذراء ـ القمص ابراهيم جبره ـ ص٩.

سادساً: شفاعة العذراء مريم:

قد يعترض البعض على شفاعة العذراء مريم بقولهم أن الكتاب المقدس يقول (لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح) (١ تيمو ٢: ٥).

وفى الحقيقة إن الشفاعة نوعان:

شفاعة كفارية، وشفاعة توسلية، كما يلى:

الشفاعة **الكفارية** هى الخاصة بالرب يسوع المسيح وحده.

أما الشفاعة **التوسلية** فهى مثل شفاعة وصلوات القديسين والشهداء وفى مقدمتهم السيدة العذراء الطاهرة القديسة «مريم».

.. ودليل الشفاعة التوسلية أن الرب يسوع المسيح قَبل شفاعة أمه فى عرس قانا الجليل وحّول الماء إلى خمر ـ والمعروف أن الخمر تُغّيب العقل ـ ولكن الماء الذى حَوّله السيد المسيح له المجد ـ إلى خمر جعل الناس يفيقون وينتبهون.

.. وإستعمال الخمر فى الأفراح فى العهد القديم ـ مثل إستخدام الشربات والمثلجات حالياً فى تلك المناسبات.

وقد قَبل الرب شفاعة أبونا ابراهيم عن سدوم وعمورة حينما قال (فى تكوين ١٨) أديانَ كل الأرض لا يصنع عدلاً؟ إن وُجد خمسون باراً تصفح ـ فقبل الرب وابتدأ ابراهيم ينقص العدد إلى

خمس وأربعون ثم أربعون ثم ثلاثون ثم عشرون ـ وقال الرب لا أهلك. فقال ابراهيم لا يسخط المولى عسى أن يوجد عشرة ـ فقال الرب لا أهلك من أجل العشرة ـ ولم يوجد ـ وحُرِقَت مدينتيّ سدوم وعمورة. (تك ١٨).

.. والشفاعة فى مفهومنا الأرثوذكسى لا تحمل أى عبادة للقديسين ـ بل تؤكد عمل الله الخلاصى فى كنيسته ـ إنها تكشف وحدة الكنيسة المجاهدة والمنتظرة والمنتصرة فى جسد واحد.

.. والعذراء القديسة مريم، لأنها نالت الأمومة لأبن الله المتجسد منها ـ فقد صارت أمًا لكل جسده أى كنيسته ـ لذلك نرى قوة وفاعلية صلاتها من أجل أولادها بالكنيسة المجاهدة.

ومثال لقبول شفاعة السيدة العذراء: معجزة نقل جبل المقطم ـ حيث تشّفع بها البابا الأنبا إبرآم بن زرعة ـ فظهرت له ـ وأرشدته عن القديس سمعان الخراز ـ وتم نقل جبل المقطم ـ فى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ٩٧٩م.

سابعاً: نياحة العذراء مريم:

قيل إن القديس لوقا الطبيب الإنجيلى البشير ـ رسم صورة للعذراء الطاهرة القديسة مريم ـ قبل نياحتها. وهى الصورة التى قيل إنها هى الموجود منها نسخة قديمة جداً فى مقر دير السريان بالقاهرة.

وقد تنيحت القديسة الطاهرة العذراء مريم فى ٢١ طوبة ـ إنتقل جسد العذراء من هذا العالم الثانى كأنسانة خاضعة لنتائج خطية آدم.

.. فبعد صعود الرب يسوع إلى السماء ـ مكثت السيدة العذراء «مريم» فى بيت القديس مار يوحنا الحبيب أربعة عشر عاماً ـ وكانت ملازمة الصلاة والخدمة ـ ولما أحسست بقرب إنتقالها إلى السماء ـ إذ أرسل إبن الله ملاكاً يحمل إليها خبر إنتقالها إلى السماء ـ فرحت العذراء الطاهرة جداً بهذا النبأ ـ وأحضرت إليها العذارى التى كانت تعظهن فى جبل الزيتون.

.. وطلبت أن يجتمع الرسل إليها من كل إنحاء خدمتهم، حيث كانوا متفرقين يكرزون بالإنجيل ـ وبمعجزة إلهية وُجدوا جميعاً حيث كانت تقيم العذراء الطاهرة ـ ماعدا القديس توما الرسول ـ فلما رأتهم القديسة مريم فرحت جداً وأخبرتهم بقرب زمن إنتقالها ـ ثم استودعتهم كل ما تحويه عن علاقتها بالرب يسوع من اللحظة الأولى عندما طلب إليها الانجيليون أن تتكلم ليدونوا ذلك فى كتاباتهم. وبينما يتبارك منها الآباء الرسل والعذارى ـ وهى مضطجعة على سريرها ـ سمعوا صوتاً من السماء ورائحة طيب زكية وقوات كثيرة من الجند السماوى صحبها الرب يسوع ـ حيث نظر الكل أبواب السماء مفتوحة والجند الروحانيين منتشرين حيث كانت تقيم العذراء الطاهرة القديسة «مريم» ـ وفى حضرة الرب

يسوع المسيح ـ استودعت الأم العذراء روحها الطاهرة بيد إبنها ـ ورقدت فى الرب ـ وحمل الفادى روح أمه الحنون وأصعدها للسماء ـ ثم كَفن الرسل جسدها الطاهر ـ وحملوه إلى الجسثيمانية (بجبل الزيتون).

وقد صاحب نياحة العذراء مريم ـ معجزتان:

الأولى: بينما يحمل الآباء الرسل جسد السيدة العذراء مريم ـ وهى مضطجعة على سريرها ليودعونها فى قبر الجسثمانية ـ بعد أن كفنوة بكرامة فائقة ـ وبينما هم سائرون بالجسد ـ حاول رجل جبار بأس يدعى «ثاوفينا» أن يمنع دفن جسد العذراء بأن حاول أن يطرح التابوت بيديه ـ وبينما هو يقترب من التابوت ليدفع به إلى الأرض ـ إنفصلت يداه عن جسمه وبقيتا معلقتين بالنعش ـ وإذ ندم باكيا بدموع حارة على فعله الردئ ـ وبتوسلات الآباء الرسل عادت يداه إلى جسمه كما كانتا من قبل.

إن الجسد الذى حوى الإله المتجسد يستحيل أن يهينه مخلوق أرضى.[1]

والثانية: قبل خروج الآباء الرسل بجسد السيدة العذراء لدفنه حاول جماعة من اليهود وكهنتها إرسال قوة للقبض على الآباء

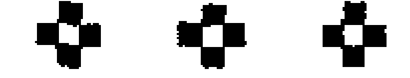
---

(١) ميمر للقديس كيرلس الأول عمود الدين بطريرك الاسكندرية الـ (٢٤) ـ كتاب اللآلى السنية (١٩٤٧) ص ١٦٩.

الرسل دفعة واحدة، وهم محيطون بجسد العذراء ـ وفعلاً ذهبت قوة وأحاطت بمنزل مار يوحنا الحبيب حيث تقيم العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ وأضرموا النار من حول المنزل بغية حرقه بمن فيه ـ إلا أن الرب الذى حفظ الثلاثة فتية فى أتون النار ـ أرسل ريحاً أحرقت الذين أضرموا النار ـ بينما لم يُصب بيت مار يوحنا الحبيب ولا أى من فيه بضرر ـ فذهب الوالى الذى رتب هذه القوة وتبارك من جسد العذراء الطاهرة والآباء الرسل وآمن هو وجمع كثير من المدينة ـ بالسيد المسيح.

.. إن إكرام الأمومة لدى الرب يسوع جعله وهو الإله الظاهر فى الجسد ـ يحل بنفسه ومعه جمهور من الجند السماوى عند نياحة العذراء الطاهرة أمه ـ فى بيت مار يوحنا الحبيب ـ حيث رآه الآباء الرسل وكل من معهم يستقبل روح أمه بيديه الطاهرتين ويصعد بها إلى السماء.

والمعجزات التى أظهرها الرب نحو الذين حاولوا إفساد جسد العذراء الطاهره ـ ومنع دفنه ـ تُظهر بقوة أن الله لا يحارب عن نفوس أولاده فقط بل وعن أجسادهم أيضاً.(١)



(١) كتاب العذراء فى اللاهوت الطقسى ـ القمص يوسف أسعد.

ثامناً: صعود جسد العذراء مريم:

تحتفل الكنيسة فى ١٦ مسرى بتذكار التحقق من صعود جسد السيدة العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ إلى السماء.

وقد دبرت العناية الإلهية ـ إصعاد جسد العذراء مريم بعد إنتقالها إلى دار الخلود الأبدى حتى لا يعاين جسدها الفساد.

.. وقد يعترض البعض بقولهم إن صعود جسد العذراء مريم لم يرد فى الكتاب المقدس ـ لذا لا يمكن تصديقه.

ونرد على ذلك بما يلى:

(١) إذا كان أخنوخ البار ـ لأنه سار مع الله ـ لم يوجد لأن الله اخذه (رفعه للسماء) (تك ٥: ٢٤) ـ فهل يترك السيد المسيح له المجد ـ جسد أمه العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ على الأرض؟!.

(٢) الله لم يترك جسد موسى النبى بين شعب إسرائيل ـ فهل يترك السيد المسيح له المجد ـ جسد أمه الطاهره بين شعب اليهود!!.

(٣) التلميذ الذى كان يسوع يحبه ـ يوحنا الحبيب ـ كتب فى الإنجيل المقدس (وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كُتبتَ واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين) (يوحنا ٢١: ٢٤).

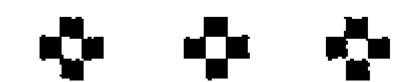
(٤) يذكر التقليد الكنسى أنه بعد أن تنيَّحت العذراء الطاهرة القديسة مريم فى أورشليم ـ حضر السيد المسيح له المجد ـ وجمع تلاميذه لكى يحضروا جنازتها ويدفنوا جسدها الطاهر فى القبر ـ ولكن توما الرسول الذى كان يبشر فى الهند لم يحضر ـ لأن الرب أراد إظهار إرتفاع جسد القديسة العذراء مريم من قبرها نحو السماء، بطريقة علنية أخرى.

.. فلما حضر القديس توما الرسول طلب من التلاميذ فتح قبر العذراء مريم ليتبارك من جسدها الطاهر ـ فلم يجدوا الجسد فى القبر ـ فأخبرهم القديس توما أنه رأى صفوف الملائكة النورانيين صاعدة إلى السماء وهى تحمل جسد البتول الطاهرة ـ فطلب بركتها ـ فأعطته الزنار الذى كان على كفنها.

.. فأشتهى التلاميذ أن يروا نفس المنظر المقدس ـ فصاموا ١٥ يوماً حتى أظهر الله لهم ذلك.

.. وقد بنيت كنيسة فى سوريا إسمها «كنيسة الزنار» ـ وبها هذا الزنار (شريط قماش كان على كفن جسد العذراء الطاهرة القديسة مريم).

وكانت جملة حياة القديسة مريم على الأرض ٥٨ سنة و٢٠ يوم و٨ شهور وكانت نياحتها فى ٢١ طوبه.



تاسعاً: تذكارات العذراء مريم فى الكنيسة القبطية:

(١) التذكار الشهرى للعذراء مريم فى اليوم الحادى والعشرين من أيام الشهر القبطى على مدار السنة.

(٢) تذكار بشارة والد العذراء بميلادها فى اليوم السابع من شهر مسرى من كل عام قبطى.

(٣) تذكار ميلاد العذراء مريم وذلك فى اليوم الأول من شهر بشنس من كل عام قبطى.

(٤) تذكار دخول العذراء مريم إلى الهيكل وفاء لنذر والديها ـ وذلك فى اليوم الثالث من شهر كيهك من كل عام قبطى.

(٥) تذكار بشارة العذراء مريم بسر التجسد الإلهى ـ وذلك فى اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات من كل عام قبطى.

(٦) تذكار مجىء العذراء والعائلة المقدسة إلى أرض مصر ـ وذلك فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس من كل عام قبطى.

(٧) تذكار نياحة العذراء مريم وذلك فى اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة من كل عام قبطى.

(٨) تذكار فتح قبر العذراء مريم والتحقق من صعود جسدها للسماء ـ وذلك فى اليوم السادس عشر من شهر مسرى من كل عام قبطى.

(٩) تذكار بناء أول كنيسة على إسم العذراء مريم فى العالم بمدينة فيلبى باليونان ـ وتذكار العذراء حالة الحديد فى اليوم الحادى والعشرين من شهر بؤونة من كل عام قبطى.

(١٠) تذكار ظهور العذراء القديسة مريم وتجليها فترة طويلة بكنيستها بالزيتون بالقاهرة، وذلك فى اليوم الرابع والعشرين من شهر برمهات من كل عام قبطى. (وكان أول ظهور لها فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م فى عهد قداسة البابا كيرلس السادس البابا الـ ١١٦ من باباوات الكرازة المرقسية).[١]

✠ ✠ ✠



---

(١) كتاب العذراء فى اللاهوت الطقسى ـ القمص يوسف أسعد.

عاشراً: لماذا نصوم صوم العذراء مريم؟

الصوم من التقليد القديم الذى تسلمته الكنيسة، للتدرب على ترك الخطية واكتساب فضيلة جميلة.

.. وصوم العذراء مريم مدته ١٥ يوماً من أول مسرى حتى ١٦ مسرى - أي من ٧ أغسطس حتى ٢١ أغسطس من كل عام.

وهذا الصوم من الأصوام المحبوبة جداً لدى الشعب كله.

وأسباب تسمية الصوم باسم العذراء مريم ما يلى:

(١) لأنه ينتهى بعيد صعود جسدها للسماء.

(٢) دُعَى هذا الصوم بأسمها إكراماً لها وتخليداً لذكراها المطوبة من جميع الأجيال. (لوقا ١: ٤٨).

(٣) رتب الرسل هذا الصوم إكراماً للعذراء مريم بعد نياحتها.

(٤) أن القديس توما الرسول كان يخدم بالهند - عند نياحة أم النور فى أورشليم - فرأى الملائكة وهى تحمل جسد البتول الطاهرة إلى السماء - ولما عاد إلى فلسطين وأخبر الرسل بما رآه - إشتهوا أن يروا نفس المنظر المقدس - فصاموا هذا الصوم حتى اظهره الله لهم فى نهايته «عيد ظهور جسد أم النور».

(٥) أن العذراء مريم نفسها صامته. وقد أخذ عنها المسيحيون الأوائل هذا الصوم إقتداءً بأم النور - ووصل إلينا بالتقليد.[1]

(١) كتاب ١٢٠ سؤال عن الأصوام - ارشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.

(٦) وقد كان صوماً قديماً خاصاً بالعذارى والمتنكسات ـ ثم أصبح صوماً عاماً أقره آباء المجمع المسكونى الثالث المنعقد سنة ٣٨١م بالقسطنطينية ـ وطلبوا من الشعب ضرورة صومه.

(٧) والأرجح إنه كان صوماً قديماً خاصاً بالعذارى والمتنكسات. ثم أصبح صوماً عاماً إعتمدته الكنيسة ـ وهو نفس الرأى الذى ذكره العلامة القبطى أبو المكارم سعدالله ـ فقال إنه كان يبدأ فى إيامه (القرن ١٣) من أول مسرى إلى الحادى والعشرين منه.[١].

.. ونفس الكلام ذكره إبن كبر فى القرن ١٤م ـ وقد ورد فى سلسلة تاريخ البابوات الحلقة الرابعة (نشر دير السريان سنة ١٩٥٤م) أن البابا غبريال الثامن قد جعل صوم العذراء إختيارياً لمن يرغب صومه سنة ١٦٠٢م ـ ومع ذلك **يُقبل كل الشعب على صومه بحب ونسك شديد حباً فى أم النور.** والأصوام العامة للشعب إجبارية على كل المسيحيين القادرين ـ وتشمل صومى الأربعاء والجمعة ـ وصوم الميلاد ـ وصوم الرسل ـ والصوم الكبير ـ وصوم السيدة العذراء ـ وصوم البرامون[٢].

---

(١) كتاب الأديرة والكنائس جـ٣ ـ ومجلة مرقس يوليو/ اغسطس ١٩٧٠م ص٦.

(٢) كتاب ١٢٠ سؤال عن الأصوام ـ ارشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر، لمعرفة أسباب كل صوم وشروطه.

ومن العجيب أن نعرف أن أماً قد باركها الرب ببركة المرض ـ وشل جسدها، حتى أصبحت غير قادرة على الحركة تماماً.

وحينما حل ميعاد صوم العذراء ـ أجهشت بالبكاء وقالت فى نفسها لقد حُرمت من بركة هذا الصوم ـ وبينما هى فى سبات النوم ـ ظهرت لها الأم العذراء الطاهـرة القديسة مـريم ـ وقالـت لها «لا تخافى لقد سمعت بكاءكِ ورأيته ـ وقد طلبت من إبنى وإلهى أن يهبك نعمة خاصة لتصومى صومى وسأسندكِ».

وقامت الأم المريضة من نومها ـ بنشاط وحيوية وصحة ـ وصلت إلى حد الإعجاز ـ وروت على أولادها قصة ذلك الحلم ـ وصامت فى نُسكٍ عجيب ـ على الفواكه فقط ـ ولم يمس جسدها سوء أو ضرر ـ بل لم تعد هذه الأم مرة أخرى إلى سرير وجعها.

.. أما عن **تاريخ صوم العذراء مريم** ـ فهو من الأصوام التى لم تعرفها الكنيسة فى العصور الأولى من المسيحية ـ فحتى القرن الحادى عشر الميلادى لم يكن ضمن القوانين الكنسية التى تحدد الأصوام ـ ولم يرد ذكره فى الكتب والمراجع اللاهوتية أو المناسبات المسكونية التى عاشتها الكنيسة خلال القرون العشر الأولى ـ فمثلا لم نجده فى قانون الأصوام للأنبا كيرلس الثانى البابا (٦٧) الذى تنيح فى سنة ١٠٩٠م، ولكنه عُرفَ بعد ذلك الوقت، فقد بدأت تظهر ملامح هذا الصوم باعتباره صوماً خاصاً للعذارى، فى مستهل القرن

الثانى عشر الميلادى ـ إذ جاء ذكره فى كتاب الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود ـ الذى توفى عام ١٢٠٩م. وينص على أن: «صوم العذارى» ـ بمصر من أول مسرى إلى الحادى والعشرين منه ـ ومسرى يوافق تموز وآب» (يوليو واغسطس).

على أن حُب الشعب للعذراء مريم وجهادهم نحو الطهارة والعفة ـ جعلهم يُقبلون على هذا الصوم بصورة أصبحت وضعاً عاماً اعتباراً من الرُبع الأول من القرن الثانى عشر الميلادى.

ولذلك يمكن القول من جهة التاريخ الكنسى أن الشعب هو الذى فرض صوم العذراء على الكنيسة ـ وهذا يوحى إلينا بأن سلطان الروح القدس يعمل بقوة فى الكنيسة إذا إنفتح قلب الشعب إنفتاحاً صحيحاً لعمل النعمة.(١)

✤ ✤ ✤



---

(١) كتاب العذراء فى اللاهوت الطقسى ـ القمص يوسف أسعد.

حادى عشر: أيقونة العذراء مريم:

وهى تُصنع من خشب الأرو أو الأرز. وتُدشَّن بالميرون المقدس لتوضع عن يمين باب الهيكل ـ فى صدر الكنيسة المقدسة ـ إتماماً لما تنبأ به داود النبى قائلاً: (قامت الملكة عن يمينك بثوب موشى بالذهب) (مز ٤٥: ٩).

وفى كل خدمة طقسية يرفع فيها البخور بالكنيسة ـ فإن الأب الكاهن يقف أمام هذه الأيقونة ويُقدّم المجد لله ـ ويُطوِّب العذراء مريم قائلاً: «السلام للسيدة العذراء».

وحينما تُقاد الشموع أمام هذه الأيقونة أو تُلمس باليد للبرَكَة ـ فنحن لا نكسر وصية الرب القائلة (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن) (خروج ٢٠: ٤ و ٥) ـ لأننا نتلامس مع روح الله القدوس وروح أمنا العذراء مريم التى ترف أمام صورتها المدشنة بالميرون المقدس. وتقديم البخور وإيقاد ذبيحة الشموع ـ تقدم لروح الله القدوس الذى دشن عذراء الأيقونة وقدسها.[١]

✤ ✤ ✤

---

(١) كتاب العذراء فى اللاهوت الطقسى ـ القمص يوسف أسعد.

ثانى عشر: بعض معجزات العذراء القديسة مريم:

(١) ظهرت العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ للأنبا ثيئوفيلس البابا الـ (٢٣) حين كان على وشك السفر إلى الدير المحرق ـ لتكريس الكنيسة المشيدة على إسمها، وذلك لتُعّرفه بأن هذا المكان قد تكرس بوجود إبنها الحبيب فيه، حين كان مقيماً بجبل قسقام أثناء إلتجائه إلى مصر ـ ثم بعد ذلك وفى نفس وقت هذا الظهور وصفت له الطريق الذى سارت فيه العائلة المقدسة منذ وصولها إلى مصر حتى عودتها إلى الناصرة. وعلى أثر هذا التوجية الكريم ـ كتب البابا ثيؤفيلس ـ كتابه عن رحلة العائلة المقدسة إلى بلادنا المصرية.

❖ ❖ ❖

(٢) القديسة أوفيمية زوجة الوالى المسيحى «أُودوكسيوس». ـ لم يكن لها ولد ـ وتشفعت بالعذراء الطاهرة القديسة مريم وصلّت بحرارة أمام أيقونتهاـ فسمعت صوتاً من الصورة يقول لها «آمين». ورُزِقَت بمولود هو القديس مارمينا العجائبى الأمين ـ وسيرة جهاده وإستشهاده موجودة فى كتب عديدة.

❖ ❖ ❖

(٣) فى معجزة نقل جبل المقطم فى عهد المعز لدين الله الفاطمى ـ تشفّع البابا الأنبا إبرآم بن زرعة السريانى ـ بابا الكرازة المرقسية

الـ ٦٢ ـ بالعذراء الطاهرة القديسة مريم ـ فظهرت له بكنيسة العذراء (المعلقة) بمصر القديمة ـ وأرشدته إلى القديس سمعان الخراز ـ وتمت المعجزة بشفاعتها.

✤ ✤ ✤

(٤) معجزة كنيسة أتريب: فى أيام خلافة هارون الرشيد ـ كان يحكم مصر والٍ قاسى ـ أمر جنوده بهدم كنائس المسيحيين ـ وعندما وصلوا إلى كنيسة العذراء مريم بأتريب ببنها محافظة القليوبية ـ إستعطف كاهنها ـ قائد الجند أن يمهله ثلاثة أيام ـ وبعد جهدٍ كبير، وافق القائد لتأكده من أن الحصول على أمر من الخليفة ببغداد ـ بالعراق ـ بعدم الهدم يستغرق وقتاً طويلاً ـ فظل الكاهن يصلى بدموع أمام أيقونة العذراء الطاهرة القديسة مريم.

.. وفى نفس الليلة ظهرت العذراء الطاهرة ـ للخليقة فى قصره فى بغداد ـ وأمرته أن يكتب خطاباً لوالى مصر بعدم هدم الكنائس ـ فقام الخليقة وكتب الخطاب وختمه ـ فخطفه منه طائر ـ واوقعه أمام والى مصر ـ الذى كان معه وقتئذ جمع كثير ـ فأرسل الوالى واستدعى الكاهن ـ وعرف منه السر ـ ولم تُهدم الكنيسة.

(٥) معجزة سنة ١٩٨٤م مع مكرم مجلى ـ بالعمرانية الغربية ـ جيزة ـ يقول:

لى بنت كان أب إعترافها وأبوها الروحى المتنيح القمص يوسف أسعد ـ كاهن كنيسة العذراء بالعمرانية.

وفى يوم أحضرت لى منه مبلغ عشرة جنيهات ـــ وقالت لى: «أبونا يوسف بيقول لك شوف واحد يصلّح لنا الترابيزات الصاج بتاعت الكنيسة علشان معرض نهضة صوم العذراء». فتوجهت إلى صديق لى إسمه عريان ـ موظف بالمصانع الحربية تخصص أعمال صاج ـ وأعطيته المبلغ. وتعطفت علينا العذراء الطاهرة. فقد جاء صديق آخر من محافظة أخرى كان يشتغل فى أعمال الصاج ـ فشاهد الترابيزات ووجد أن بعض أرجلها مفقودة ـ فأحضر لنا ماسورتين صاج بنفس المقاس لتقطيعهما وعمل أرجل جديدة لها.

.. وفى أول يوم أجازة عيد إخوتنا المسلمين ـ توجهت مع صديقى عريان للكنيسة لإصلاح الترابيزات ومعنا شنيور كهربائى مركب به بنطة حديد لعمل الخروم اللازمة لها ـ وأثناء العمل شعرت بدوخة شديدة وأحسست بحرقان فى عينى اليُسرى ـ ففكرت إن رايش من الصاج دخل فى عينى ـ فقلت لصديقى عريان: «هو فيه دم هنا قرب عينى؟ فقال لا. لكن عينك حمراء ـ وبالنظر إلى الشنيور ـ وجدنا البنطة إنكسرت نصفين ـ ولم يستطع صديقى أن يُكمل العمل بسبب إضطراب أعصابه ـ فنزلنا إلى حوش الكنيسة لكى نتوجه لمنازلنا ـ فقابلنا قس من الكنيسة هو حاليا أبونا القمص حنا يعقوب ـ ولما علم بالموضوع صلى لى على رأسى صلاة طويلة

ـ وانصرفت لمنزلى ـ وعندما علم أبونا القمص يوسف أسعد بهذا الموضوع ـ كان يومياً يقيم قداساً صباحاً من أجل عينى، دون أن أعلم فى ذلك الوقت.

أما أنا فقد فكرت أن عينى ملتهبة ووضعت فيها قطرة ـ ولكن غلطتى إنى تركت عينى مفتوحة ـ وبعد أربعة أيام شعرت بتعب فى عينى ـ فتوجهت لطبيب عيون وعملت أشعة ليزر ـ فقال لى الطبيب «عندك قرحة فى القرنية» ـ وكتب لى علاج (مرهم وقطرة) وقال لى «إقفل عينك وضع عليها قطنة» ـ ففعلت ذلك ولبست نظارة لكى لا تقع القطنة من على عينى ـ ولكن لشدة حرارة الجو فى شهر أغسطس سنة ١٩٨٤م، وبسبب العرق ـ رفعت القطنة من على عينى ـ وظننت إنها شفيت ـ ولكن بعد أربعة أيام أخرى شعرت بوجع فى عينى ـ فتوجهت لطبيب عيون آخر ـ وعملت اشعة ليزر أخرى ـ فقال لى «عينك فيها قرحتين فى القرنية، ولابُد من إستعمال العلاج مع قفل العين المصابة بوضع قطنة عليها» وعرفنى أن آخذ أجازة من عملى، لأن عينى تعبانة ومحتاجة راحة تامة.

وأخذت أجازة وأظلمت الحجرة. ووضعت على عينى المصابة قطنة ـ وداومت على العلاج بإنتظام ولزمت الراحة والفراش ـ ولكنى كنت فى حزن شديد لأنى كنتُ موقناً أن عينى بعد شفاها لابُد أن تكون عليها سحابة ـ وتشفعت كثيراً جداً بالعذراء الطاهرة القديسة مريم.

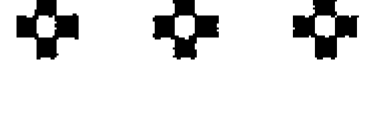
وبعد خمسة أيام شُفيت عينى تماماً. وأصبحت أفضل من العين اليُمنى.

.. وبالسؤال فيما بعد، علمت من مهندس أن البنطة إذا إنكسرت وهى تعمل بالشنيور ـ ترد عمودية ـ فلو كان هذا حدث فى مكان آخر غير الكنيسة لفقأت عينى ـ ولكن جزءاً من البُنطة المكسورة إرتد عمودياً ثم بالعرض لمسته القرنية فأحدثت بها القرحتين.

(وهذه المعجزة غير مكتوبه فى أى كتاب آخر للآن)

٦- ومن أعظم معجزات السيدة العذراء الطاهرة القديسة مريم ـ ظهورها بكنيستها بالزيتون (بالقاهرة) ابتداء من يوم الثلاثاء الموافق ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م ـ فى عهد قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس ـ وتكرر ظهورها كل يوم لمدة ساعات وبقى هكذا لشهور كثيرة ـ وقد تمت هذه الظهورات على قباب كنيستها ـ كما رآها عدة مئات بل ألوف من الشعب من كل الأعمار والمراكز ـ ميسحيون ومسلمون. وكان الشعب يزدحم كل ليلة حول الكنيسة يصلى ويُسبّح الله ـ منتظراً أن يرى الطيف البهى للقديسة الطاهرة العذراء «مريم» تقف على إحدى القباب راكعة أمام الصليب ـ ومرة أخرى حاملة الطفل يسوع ـ أو واقفة ـ وقد رافق هذه الظهورات ظهور طيور على شكل حمام ضخم ـ وكان من ثمرة هذه الظهورات توبة الكثيرين وحدوث معجزات بغير حصر، ولكل الأجناس.

٧- وقال مكرم مجلى من العمرانية ـ جيزة ـ إنه فى يوم الأحد الموافق ١٣/١/٢٠٠٨م حضرّت إجتماع الخدَّام بكنيسة العذراء مريم والأنبا إبرآم بفيصل. وُوزّعت علينا هدايا تذكارية وكان من نصيبى صورة للعذراء الطاهرة القديسة «مريم» ـ وكنت أحملها فى يدى ـ ثم ركبت مينى باص لقُرب سكنى ـ ولما نزلت من المينى باص وشرعت فى عبور الطريق بالعرض ـ وجدت ميكروباص بعيد ـ فرفعت يدى لتنبيه سائقه ـ ولكنى فوجئت بميكروباص آخر أتى مسرعاً جداً وظهر فجأة إلى جانب الميكروباص الأول ـ ووجدت نفسى أمامه ـ بينى وبينه شبر ـ تحركت شمالاً فتحرك شمالاً وتحركت يميناً فتحرك يميناً ـ فأيقنت تماماً أننى سأموت فى هذه اللحظة بعد أن تنكسر جميع عظامى ـ ولم أنتبه إلا وقد إبتعد عنى هذا الميكروباص بمعجزة فائقة ـ ووجدت صورة العذراء بيدى ـ فشكرت الله من كل قلبى، لأنه نجانى من هذه الحادثة ـ وأيقنت أنها معجزة تمت بشفاعة العذراء الطاهرة القديسة مريم التى كنت ممسكاً بصورتها فى يدى ـ ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.





خاتمة

لما جاء ملء الزمان ليظهر الله فى الجسد ـ ويتجسَّد إبن الإنسان لخلاص البشرية ـ كانت العذراء مريم هى الإناء المختار ـ والهيكل الطاهر ـ والسماء الثانية الجسدانية التى يحل فيها الإله ـ وتابوت العهد المقدس الذى يحوى المن النازل من السماء وخبز الحياة.

.. وفى تعبير لاهوتى عميق ـ أشار الآباء إلى إختيار الله الآب للعذراء «مريم» لولادة الإبن الوحيد قائلين: «الآب تطلع من السماء فلم يجد من يُشبهكِ، أرسل وحيده وأتى وتجسد منكِ».

.. ولا عجب إذا كان الرب قد إختارها وأكرمها وفضّلها لِما تحلت به من صفات وإزدانت به من فضائل، وتميزت به عنٍ قريناتها وبنات جنسها ـ فشرفها ورفعها واصطفاها لتكونٍ أمًا لله الكلمة وعرشاً مجيداً لله. كما أشار سليمان الحكيم قائلاً (بنات كثيرات عملن فضلاً أما أنتِ ففقّتِ عليهن جميعاً) (أم ٣١: ٢٩).

.. ولأجل السيرة العطرة للعذراء الطاهرة القديسة مريم.

.. والمنهج المقدس الذى عاشته ـ إرتفعت تماماً وصارت أفضل من كل نساء العالمين.

لقد تميزَّت العذراء مريم بالطُهر والعفاف فى وسط جيل شرير ـ فقد رضعت لبن القداسة بين احضان أبوين بارين قدماها للرب نذيرة ـ وترعرعت بين جُدران هيكل الله ـ غذاؤها صلوات وتسابيح ـ وشرابها كلمات الله ـ وهكذا عاشت العذراء «مريم» طاهرة الجسد ونقية الفكر، ومقدسة الحواس ـ تنمو كل يوم فى التقوى والقداسة والنعمة، حتى إستحقت أن يخاطبها رئيس الملائكة الجليل جبرائيل

قائلاً: (سلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة) (لو ١: ٢٨).

.. لقد عاشت القديسة مريم عذراء طاهرة ـ وانتقلت إلى الأمجاد السماوية عذراء ـ ولهذا تُسميّها الكنيسة «دائمة البتولية» ـ وحسب النص القبطى «العذراء كل حين».

لقد عاشت العذراء فى شركة عميقة مع الله تصلى إليه وتنتظره ـ ولم تكن عبادة خوف، بل عبادة حب وصدق وإخلاص.

- لقد أحسنت الصمت وأجادت التأمل ـ فجلست ترقب وليدها المجد.

لقد أدركت العذراء مريم مع النبى إرميا عُمق كلماته (وجدتُ كلامك فأكلته، فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى) (أر ١٥: ١٦) ـ فشبعت نفسها وإرتوت روحها واستنارت بصيرتها بكلمة الله.

.. ولقد كانت فضيلة الوداعة والتواضع هى الطابع المميز لحياة العذراء القديسة مريم ـ فقالتِ (هوذا أنا أمة الربِ) (لو ١: ٣٨) ـ ولم يكن هذا إسلوبها أمام الرب ـ بل كان أيضاً سلوكها فى تعاملها مع الناس ـ ففى وداعة وتواضع وتنازل عجيب ـ تقوم العذراء وهى حاملة الإله مخلص العالم ـ وتمضى بسرعة وتتحمل مشقة السفر، لتشارك أليصابات أفراحها، ولتخدم الأم المتقدمة فى الأيام ـ مما أنطق أليصابات تعبيراً عن شكرها وامتنانها وتعجبها لمجيء العذراء الطاهرة لها ـ فقالت (فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى الىّ) (لو ١: ٤٣).

.. والحقيقة التى لا يُنكرها أحد هى أن العذراء الطاهرة القديسة «مريم» ـ ولدت الرب يسوع بسرٍ يفوق إدراك عقول البشر ـ كقول الإنجيل المقدس (الـروح القـدس يحل عليكِ وقوة العلى تظللكِ)

(لو ١: ٣٥) ـ لذا يحق لنا أن نصلى دائماً. ونُعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنكِ ولدتِ لنا مُخلّص العالم كله.

.. وهــى والدة الإله لأن القدوس المولود منها يدعى (إبن الله) (لو ١: ٣٥) ـ ولدت عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا.

.. وقد وصف الآباء السيدة العذراء بأنها أم النور الحقيقى ـ تمييزاً لها عن غيرها من نساء العالم ـ ولأن السيد المسيح له المجد ـ قال (أنا قد جئت نوراً إلى العالم) (يو ١٢: ٤٦).

.. والعذراء هى أم النور ـ لأنها حملت شمس البِّر الرب يسوع المسيح ـ كقول ملاخي النبى (ولكم أيها المتقون إسمى تشرق شمس البرّ والشفاء فى أجنحتها). (ملا ٤: ٢).

.. ورؤيا يوحنا اللاهوتى (وظهرت آية عظيمة فى السماء إمرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها. وعلى رأسها إكليل من إثنى عــشــر كوكباً. وهى حُبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد) (رؤ ١٢: ١و٢) ـ تُرجّمت إلى تسبيح وتمجيد للعذراء، لولادتها شمس البر ـ لأنها ولدته وبتوليتها مختومة.

.. يا قديســة مــريم ـ حقا قال عنكِ مار إفرام السريانى: «مبارك هــو فمكِ الــذى شكر دون أن يسأل ـ ولسانكِ الذى مجّد دون أن يسأل».

الرب يبارك هذه الكلمات ويجعلها مثمرة لأرواحنا ونفوسنا ـ وبركة لكل من يقرأها بشفاعة أمنا العذراء الطاهرة القديسة مريم. ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

تم بحمد الله

المراجع

١- الكتاب المقدس.

٢- قانون الإيمان ـ لقداسة البابا شنودة الثالث.

٣- مسابقات فى العقيدة واللاهوت جـ٤ لقداسة البابا شنودة الثالث.

٤- القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ كنيسة مارجرجس اسبورتنج.

٥- كتاب مريم العذراء فى التاريخ ـ القمص سيداروس عبد المسيح.

٦- تفسير إنجيل متى ـ القمص تادرس يعقوب ملطى.

٧- كتاب رحلة شاقة ـ القمص أغاثون سدراك.

٨- كتاب ميامر وعجائب العذراء مريم ـ اقوال آباء الكنيسة الأرثوذكسية، ط سنة ١٩٠٢م.

٩- كتاب المباركة فى النساء ـ القمص اسحق صادق.

١٠- كتاب مريم العذراء سيدة جميع النساء جـ١ ـ القمص ابراهيم جبره.

١١- كتاب أم وعذراء ـ القمص ابراهيم جبره.

١٢- كتاب العذراء في اللاهوت الطقسى - القمص يوسف أسعد.
١٣- كتاب مريم الملكة - القمص بولس شنودة بطهطا.
١٤- كتاب العذراء في اللاهوت الكنسى - الأب متى المسكين.
١٥- كتاب ١٢٠ سؤال هام عن الاصوام - أرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.
١٦- كتاب فضائل أم النور - أرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.
١٧- تفسير إنجيل متى - أرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.
١٨- سنكسار الكنيسة القبطية جـ١.
١٩- السنكسار القبطى اليعقوبى - ترجمة رينيه باسيه (١٩٢٩م) تنسيق وتعليق أرشيدياكون دكتور ميخائيل مكسى اسكندر.
٢٠- كتاب العذراء مريم أم الرب - الاستاذ/ فوزى مسعد - كنيسة المعلقة بمصر القديمة.
٢١- كتاب قصة الكنيسة القبطية، جـ٣ - إيريس حبيب المصرى.
٢٢- إعداد من جريدة وطنى .

ترنيمة

القرار

أُمنا يا عدرا يا أم المسيح
يا للى فيكى دايماً بيحًّلى المديح

١ـ قلوبنا بتحبكِ حب مالوش مثيل
عايزين نفضل جنبكِ ونقول تراتيل

٢ـ بتسدِّى إحتياجاتنا وتزيدى كمان
عايزين نفضل جنبكِ ونقول تراتيل

٣ـ يا جمال مشاعركِ حُب حنان رعاية
يا هنانا بأمومتكِ يا فخر البَرايا

٤ـ مِنكِ زاد إيماننا بزيارتكِ بيوتنا
مين يِوّفِى جمايلكِ يا قمر حياتنا

٥ـ فرحّتى قلوبنا لما شفنا نوركِ
يالّا ياعدرا هِلي دا وحشنا ظهوركِ

❖ ❖ ❖

الفهـــرس



هذه دراسة شاملة وكاملة لسيرة البتــول
أم النور مريم ، وتضــم تاريــخ حيــاتها
وخدماتها وشفاعاتها، ونماذج من معجزاتها.

وهى تقدم هدية خاصة بمناسبة أعياد

ويمكن طلب الكتابات الأخرى التى
الارشيدياكون د. ميخائيل مكسى
عن العذراء الطاهرة.

FINE CO. (202) 24824113

١ / ٩٦

مكتبة المحبة : ٣٠ شارع شبرا. القاهـرة
E-mail : Mahabba5@hotmail.com
ت. وفاكس : ٢٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) . ٢٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفـون : ٢٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) . ٢٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)